الراصد
WWW.ALRASED.NET
العدد التاسع عشر محرم ١٤٢٦هـ
ماذا بعد الإنتخابات!
دروز الأردن ...
ملفات عاشوراء:
وسطية أهل السنة بين الصوفية والشيعة في عاشوراء
أين موضع دفن رأس الحسين رضي الله عنه!
دراسة تحليلية لطقوس الشيعة في عاشوراء

مجلة الراصد الإسلامية
العدد التاسع عشر – غرة محرم 1426 هـ

1- فاتحة القول: وماذا بعد الانتخابات.....4
2- وسطية أهل السنة في عاشوراء.....5
3- فرق ومذاهب: العلويون في تركيا.....7
4- سطور من الذاكرة: استشهاد الحسين رضي الله عنه في عاشوراء.17
5- دراسات: 1- حقيقة موضع رأس الحسين وقبره.....22
2-الحسين في التراث الشيعي.....33
6- كتاب الشهر: من قتل الحسين.....60
7- قالوا.....66
8- جولة الصحافة:
- الدروز في الأردن.....69
إيران
- الآن وليس غداً.....75
- الخليج بين العروبة والفارسية.....77
- الرقص مع إيران.....79
- العلاقات العربية الإيرانية.....81

- ثروة الإيرانيين بالخارج......................................92
- مصر وإيران..98

العراق
- اتهام الجلبي بالخيانة العظمى.....................................103
- المرجعية الشيعية تميل إلى تأييد فيدرالية في الجنوب.................105
- الموصل ولاية الأزمات والأقليات.................................107
- تصريحات خطيرة...111
- جهاد القرن الواحد والعشرين...113
- مستقبل العراق ومستقبل السنة...................................115

البحرين
- اعتصامات ومسيرات..116
- حركة الردة في البحرين الأهداف الدينية المحضة والطابع السياسي..118

وأيضاً
- القوالي موسيقى روحانية تجعلك تستشف أعماقك.....................121
- لمصلحة من الشائعات بأن أبو مازن بهائي؟..........................124
- مسجد قايتباي...127.

فاتحة القول

وماذا بعد الانتخابات ؟

ها قد جرت الانتخابات وقريبا تظهر النتائج فماذا بعد ذلك ؟ هذا سؤال نوجهه للتيارات السياسية العراقية التي شاركت في الانتخابات .

هل ستكونون صادقين مع أنفسكم و تقدمون المصلحة العليا للعراق بالإصرار على رحيل الأمريكان و التشاور مع السنة لوضع دستور غير متحيز لطائفة أو عرقية؟

هل ستكون هذه الانتخابات و نتائجها الذراع التي تكشف عورة المشاركين فيها والتي تسترها ورقة التوت بما سيمارسونه من أعمال و ما يقيمونه من تحالفات ؟

هل ستكون نتائج الانتخابات الكارثة التي ستجبر المغفلين على الاستفادة من دروس التاريخ والاهتمام بعقائد و أفكار التجمعات و القوي السياسية ؟

هل ستكون هذه الانتخابات بداية للصراعات الشيعية الشيعية على محور العراق إيران؟

هل تفرز هذه الانتخابات صحوة سياسية لدى الدول السنية بضرورة التواصل مع التجمعات السنية العراقية ؟

هذه تساؤلات ستكشف الأيام القادمة عن إجاباتها ونآمل أن توفق الأطراف التي عليها الإجابة للصواب فيها وإلا سندخل في متاهات لا يعرف أحد متى يمكن الخروج منها .

وسطية أهل السنة في عاشوراء

بين

ضلالة الشيعة والصوفية

الحمد لله الذي جعل الإسلام وسطا بين الأديان وجعل أهل السنة وسطا بين الفرق والنحل ، ومن هذه الوسطية وسطية أهل السنة في موقفهم من يوم عاشوراء وما جرى فيه فيما بعد من استشهاد الحسين رضي الله عنه سنة 61 هـ .

فعاشوراء وهو اليوم العاشر من محرم كان يومًا كسائر الأيام في الإسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فوجد اليهود يصومونه ولما علم أنهم يصومونه بسبب نجاة موسى فيه من فرعون قال عليه الصلاة والسلام :" نحن أحق بموسي منكم " فصامه وأمر الناس بصيامه ، وقال صلى الله عليه وسلم عن أجر صيامه : " صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله " .

وهكذا بقي حال يوم عاشوراء في حياة المسلمين يوم مبارك نجى الله فيه موسى وأمر المصطفى سلام الله عليه بصيامه في بقية حياته صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده وزمن خلافة الحسن ومعاوية وبداية خلافة يزيد. وفي عهد يزيد كانت الفاجعة بمعركة غير متكافئة بين جيش يزيد- الذي قاده بعض الخائنين للحسين رضي الله عنه – وبين الحسين وأهله أسفرت عن مقتل الحسين رضى الله عنه .

ولقد تلقت الأمة الإسلامية هذه الحادثة بالاستعظام والبراءة من قتلة الحسين، ولكن القضاء قد نفذ، والموت حق على كل أحد ، فلزم آل البيت وغيرهم الصبر على مُرّ القضاء واستمرت عادة المسلمين في يوم عاشوراء على ما كان من عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وبقي الأمر كذلك حتى استولى البويهيون الشيعة على بغداد زمن الدولة العباسية فأظهروا البدع في عاشوراء كما يروي لنا ابن كثير في البداية والنهاية :" فكانت الدَّبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشان، ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق.. " وبعد ذلك بدأت البدع تكبر وتتنوع فظهر تمثيل الواقعة زمن الصفويين وبعدها جاءت الطقوس الدموية من شج الرؤوس بالسيوف وجلد الظهور.

وقد استمرت هذه البدع إلى يومنا هذا لكن مع الاستفادة من التقنيات الحديثة لإتقان هذه البدع السيئة ! فأصبحت تبث على الفضائيات والانترنت مع مراعاة تعقيم السيوف والسلاسل !! واستخدام الملابس المسرحية لتمثيل الواقعة !!

ومن المهم جداً ملاحظة أن هذه الطقوس البدعية نابعة من البيئات

السابقة للبويهيين والصفويين وليست من الإسلام في شيء.

فكان هذا هو الضلال الشيعي تجاه يوم عاشوراء .

وقد قابل هذا ضلال آخر وهو الضلال الصوفي تجاه يوم عاشوراء وهو الاحتفال بهذا اليوم وإظهار الفرح والسرور وتوزيع الهدايا والحلويات الخاصة بهذا اليوم !

ولعل بداية هذه البدع الصوفية كانت من قبل النواصب الذين انتهوا من التاريخ كحال البدع وأهلها، فقد ذكر ابن كثير عن بدعهم يوم عاشوراء فقال : " فكانوا في يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتخذون ذلك اليوم عيدا، يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح؛ يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم ."

ولذلك تجد الصوفية إلى اليوم يحتفلون بيوم عاشوراء ويقيمون حلقات الرقص التي يسمونها ذكرا!

وهكذا نجد أن البدعة تقابلها البدعة وتدخل الأمة الإسلامية دوامة الضلال التي لا ينجيها منها إلا التمسك بالوحي المطهر الذي جاءنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولذلك تمسك أهل السنة بصيام عاشوراء الذي أمر به رسول الله وحرمه علماء الشيعة ! ولم يجعلوا من عاشوراء يوم عيد كالصوفية تمسكاً بأعياد الإسلام الفطر والأضحى .

والله الموفق ،،،

العـلويون في تركيا

في العدد الأول من الراصد، تحدثنا بإسهاب عن طائفة "النصيرية" أو العلويين الذين ينتشرون بشكل خاص في سوريا، حيث يجلسون في قمة الحكم في ذلك البلد المسلم الذي يشكل المسلمون من أهل السنة غالبية سكانه.

وإضافة إلى تلك الدراسة المشورة في باب / فرق، نشرنا عدداً من المواضيع في أبواب عديدة عن تلك الفرقة، وعقائدها، وأفكارها، والفساد الذي تمارسه في سوريا، وعدد من الدول.

ونحن في هذا العدد أمام كيان علوي كبير ومستقل، في تركيا حيث نحاول استعراض عقائدهم ونشاطهم السياسي، ومعرفة أوجه الالتقاء والافتراق مع العلويين في بلاد الشام وسوريا تحديداً، ومع فرقة البكتاشية التي تناولناها في العدد الماضي من الراصد، حيث يرى بعض الباحثين أن فرقة البكتاشية هي نفسها فرقة العلويين في تركيا، في حين يرى البعض خلاف ذلك.

وينسب العلويون أنفسهم إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في حين أن التسمية التي لازمتهم هي "النصيرية" نسبة إلى أبي شعيب محمد بن نصير المتوفى سنة 270هـ.

أعدادهم وأصولهم

يغلب التضارب على حقيقة أعداد العلويين في تركيا، كون تعداد السكان في هذا البلد لا يتضمن الإشارة إلى دين المواطن أو مذهبه لأنهم يعتبرون ذلك مخالفا مبدأ الدولة العلماني. إلاّ أن المصادر الرسمية التركية تؤكد بأنهم لا يزيدون عن خمسة أو ستة ملايين من مجموع سبعين مليون نسمة هم مجموع سكان تركيا حالياً.

أما رئاسة الشؤون الدينية في تركيا فتقدر عددهم بسبعة ملايين علوي.

لكن العلويين يقولون أن نسبتهم تصل إلى الثلث أي أكثر من 20 مليون علوي، في حين يقدر البعض عددهم بـ 8 ـ 10 ملايين، وهذا الرقم يبدو قريباً إلى الواقع إذا أنهم يشكلون حوالي 8 ملايين شخص أي حوالي 12%.

وينقسم العلويون في تركيا إلى مجموعتين: تعيش الأولى في المناطق القريبة من سوريا، وبشكل خاص في لواء اسكندرونة، وهذه المجموعة هي امتداد للعلويين في سوريا وبعض الدول العربية، ويصل عددهم حسب بعض التقديرات إلى 250 ألفاً، ويتواجدون بمعظمهم في لواء اسكندرون، وفي أضنة و مرسين، إضافة إلى عدة آلاف في اسطنبول وأنقرة. وهؤلاء لغتهم الأم هي العربية حيث كان يتبع لواء الاسكندرون سوريا فيما مضى، واللغة الثانية هي التركية.

والعلويون الآخرون يعرفون بـ "علويي الأناضول" ويتوزعون بين الأتراك والأكراد.

ويشكل العلويون الأكراد 35% أو أكثر من مجموع العلويين، ويتواجدون في محافظات بنغول، تونجلي، ارزنجان، سيواس، يوزغات، ايلازيغ، ملاطيا، قهرمان ماش، قيصرى وتشوروم.

كما توجد أعداد منهم في محافظات أدي يمان، عازي غتاب، هاتلي (اسكندرون)، قبر شهر، نيفشهر، سموون وطوقات. وتتكلم هذه المجموعة الكردية، وكذلك يتكلم قسم منهم الزازانية.

أما العلويون الأتراك فيتواجدون في منطقة الأناضول الداخلي وفي غربه، مع تواجد قليل منهم على البحر الأسود. أما المحافظات التي يتواجدون فيها بكثافة فهي: سيواس، طوقات، يوزغات، نيفشهر، تشوروم، أماسيا، قهرمان ماراش وأورزخان.

كما يوجد علويون تركمان في مناطق قارص، سيواس، يوزغلت، طوغات، اوردو، تشوروم، باليق أسير، مانيا، أزمير ومغلا.

عقائدهم

يؤله العلويون الإمام علي بن أبي طالب صراحة، ويضفون عليه صفات الربوبية التي لا تجوز إلاّ لله سبحانه وتعالى، وتعد كتب الدعوة (بويروك buyrk) الأربعة التي تتضمن ثلاث سنن وسبعة فروض، وهي الأوامر والنواهي للشعائر العلوية، من خلال الخطب والأنفاس. وهي أراجيز شعرية بشكل رباعيات على الأغلب ـ كتباً مقدسة عند العلويين، ويحافظون عليها، ويمتنعون عن إطلاع غيرهم عليها. وتنصب هذه الكتب على تقديس الإمام علي والإيمان بألوهيته وقدراته الميثولوجية الخارقة، ومن تلك الأنفاس (مترجمة):

1ـ "هو الخالق المبدع للعرش والأرض والسماوات، ولهذا لم أجد إلهاً غير علي. إنه الخالق لعبده والمانح للأرزاق له، ولهذا لم أجد إلها غير علي".

وتطرق الباحث إلياس أوزوم إلى مفهوم "الله" عند الشاعر العلوي المتصوف پير سلطان عبدال وهو من شعراء القرن السادس عشر فيقول: إنه يؤمن بأن الله يتجسد في الأقانيم الثلاثة (الحق ـ محمد ـ علي). تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا، ويؤكد عقيدة التثليث هذه إحدى الرباعيات التي جاء فيها:

2ـ "إذا كنت تسأل عن بداية هذا العالم، فاعلم بأن عليّاً هو وحده الإله ومحمد وعلي. وإذا سألت عن صاحب هذا الطريق، فاعلم بأنه علي وحده الله ومحمد وعلي".

بالرغم من أن العلويين يؤمنون بألوهية علي كما مر معنا، ويقولون بالتثليث ووجود ثلاثة صور للإله كما عند النصارى، إلاّ أنهم لا يعتبرون أنفسهم مشركين أو ملحدين، إنما يعتقدون بأن نظرتهم إلى الكون والإنسان والإله تختلف عن نظرة الآخرين (المسلمين) إليها، لأن العلويين يؤمنون بالأقانيم الثلاثة (الحق ـ محمد ـ علي) حيث يقولون بأن كلّ واحد

منهم يمكن أن يحل في الأخر، لأن هذا الثلاثي المقدس ـ كما يعتقدون ـ كل لا يتجزأ، ويتجلى على شكل نور أزلي كان موجوداً قبل الخليقة وبعدها، وسيستمر إلى الأبد.

ويدّعون أن الله تجلى في آدم كصورة للبشر، ولذلك رفض إبليس السجود له، كما تجلى في صورة النبي محمد والإمام علي والشيخ بكتاش.

ويقول العلويون بأن قوى الخالق المقدسة ـ العقل ـ تنتقل إلى الإنسان بواسطة محمد وعلي وأولاده وأحفاده من الأئمة والأولياء الصالحين الذين يمثلون الكمال والجمال معاً.

إن إيمان العلويين بعقيدة التثليث، إضافة إلى إسرافهم بشرب الخمر وتقديسهم لبعض شيوخهم وأوليائهم بما يشبه التقديس المسيحي للرهبان جعل بعض المستشرقين يعتبرونهم (مسيحيين منسيين)، ومنهم المؤرخ الانجليزي هاسلوك الذي قام بدراسات في الأناضول خلال الحرب العالمية الأولى.

وإضافة إلى بعض عقائد النصرانية المتغلغلة في العلويين فانهم يمزجون عقائد أخرى في دينهم أو مذهبهم، مثل العقائد اليزيدية، وعقائد الأتراك القدامى، حيث يولي العلويون الأهمية لطائر الكركي crane واتجاههم نحو الشمس عند الشروق لرؤية وجه الإمام علي، حيث كان الأتراك القدماء يسجدون للشمس عند الشروق، لطلب تحقيق الأمنيات منه لذلك أطلقوا على الله تسمية Tanri المحرفة عن Tan yeri التي تعني مكان شروق الشمس.

عباداتهم وطقوسهم

يؤدي العلويون الأتراك عبادتهم في غرفة كبيرة تسمى "بيت الجمع" وهم لا يبنون المساجد، ويفسرون ذلك بأنه لم يكن هناك مساجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ـ حسب ادعاءاتهم ـ ، كما يبررون ذلك كون علي بن أبي طالب قتل في المسجد.

ويطلق العلويون على طقوس عبادتهم كلمة (جيم) وهي تقام بشكل منتظم . ولديهم أعياد ومناسبات هامة منها: نوروز، وصيام محرم، وصيام الخضر، وخضر إلياس، وعيد الأضحى، ولقمة موسى الرحال.

والعلويون لا يصومون شهر رمضان، ويعتبرون النيروز أو النوروز بداية الربيع ويوماً للاحتفاء بمولد الإمام علي، ويطلقون على ليلة 21 آذار / مارس "نوروز السلطان" ويقام فيها "جيم".

وفي أشهر الشتاء يقومون بترتيب "لقمة موسى الرحال" فيطوفون البيوت لجمع الطعام، وتذبح القرابين، وتطبخ الأطعمة وتوزع، ويعتقدون بأن الفائدة التي تحققها لقمة موسى للجماعة تأتي بالبركة للمحصول.

ويعبر العلويون عن حزنهم على مقتل الإمام الحسين بالصيام في شهر محرم، فيصومون اثنى عشر يوماً لذكرى الأئمة الاثنى عشر، وبعضهم يصوم أربعة عشر يوماً من أجل "الأبرار الأربعة عشر".

ولذكرى حرمان الحسين من الماء في كربلاء فإنهم لا يشربون الماء، ولا يذبحون القرابين في هذا الشهر، ولا يحلق الرجال شعورهم.

وفي شهر شباط/ فبراير يصومون ثلاثة أيام (صيام الخضر)، وفي 6 مارس يحتفلون بخضر إلياس، معتقدين أن الخضر يعين الناس في الثلج، وخضر إلياس يعينهم في البحر.

وتقديم القرابين من العادات الشائعة لدى العلويين، وتجري في أغلب المناسبات عدا محرم. ومن التقاليد الاجتماعية لدى العلويين هي أنهم لا يتزوجون من الأقارب، ويعتبرون أبناء العم وأبناء الخال إخوة.

وهناك تقليد آخر هو أن الشاب يختار من بين جيرانه أو أصدقائه أختاً، وهي علاقة تستمر طيلة حياتهم، وكذلك تفعل الفتاة.

وتعتبر مناطق العلويين من المناطق المشهورة بزراعة العنب وصناعة الخمور، ويشتهرون بشرب الخمر الذي كثيراً ما يصنعونه في بيوتهم، ويقيمون مهرجانات لاختيار أفضل أنواع العنب وتذوق الخمر.

ومن عاداتهم المتوارثة التي لا يحيدون عنها: إجراء ختان الأولاد في ذكرى ميلاد الإمام علي من كل عام، وإقامة احتفال كبير عند الزواج عادة ما يكون في ذكرى ميلاد الإمام الحسين، والاجتماع في بيوت الجمع لإجراء المقابلات الموسيقية الراقصة المختلطة في المناسبات، ولقراءة الأشعار البكتاشية.

وفيما يتعلق بالحج، فإن أكثرهم يحجون إلى قبر بكتاش، والصلاة يؤدونها على طريقتهم الخاصة، فالصلاة عندهم ليست سجوداً على الأرض أو مقابلة للجدران، وإنما مقابلة للإنسان وجهاً لوجه في بيوت الجمع، وفي رقصة (المقابلة) برفقة الآلات الموسيقية الخاصة بهم، لأن الصلاة عندهم أمنية تتخاطب خلالها الأرواح والأفئدة خارج نطاق الجسد.

علاقتهم بتركيا

حيث أن تركيا هي دولة سنيّة ـ بغض النظر عن مدى التزامها بمنهج أهل السنة ـ فإنه من الطبيعي أن يقف العلويون في تركيا موقفاً عدائياً من بلادهم[1]، سواءً في عهد الدولة العثمانية، أو في عهد تركيا العلمانية التي قامت على أنقاض دولة الخلافة العثمانية.

فلقد ثار الشيخ بابا اسحاق، أحد مريدي بابا إلياس شيخ العلويين التركمان ومؤسس الطريقة البابائية الصوفية، ضد السلاجقة منذ عام 1208 وحتى 1210م، واستطاع السلاجقة إخماد هذا التمرد.

وثار العلويون البابائيون والعشائر الاورغوزية المساندة لهم ضد الدولة العثمانية الفتية، وكان ذلك سنة 1393م.

وفي القرن السادي عشر الميلادي وقف العلويون مع دولة الصفويين الشيعة في اعتداءاتها على الدولة العثمانية، الأمر الذي دعا الخلفاء العثمانيين إلى معاقبة هؤلاء العلويين.

---

[1] وكذلك كان نهج العلويين في سوريا الذين طلبوا عام 1936 من سلطات الاحتلال الفرنسي الذي كان يحتل سوريا آنذاك فصلهم عن سوريا ، ومساعدتهم في تأسيس دولة مستقلة لهم.

وفي العصر الحديث قابل العلويون إعلان كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية سنة 1924 بالارتياح، لأنها تمثل لهم رمزاً غير محبب، وبدأ التعاون مع أتاتورك بشكل جدّي، وقام أتاتورك بزيارة قبر بكتاش الزعيم الروحي للطائفة العلوية.

ومع أن أتاتورك ألغى سنة 1925 الطرق الصوفية والمجموعات الدينية وهو ما أثر سلباً على العلويين، إذ أصبح غير معترف بهم رسمياً، إلاّ أنهم ينظرون إلى أتاتورك على أنه المخلص، ولا عجب أن يرفع العلويون حتى الآن صور أتاتورك في مناسباتهم إلى جانب صورة ترمز للإمام علي، وصورة بكتاش.

وبالرغم من أن العلويين كانوا في مقدمة مؤيدي أتاتورك، إلاّ أن الطابع القومي التركي لدولة أتاتورك شكل عقبة كأداء أمام العلويين حيث جزء كبير منهم من العرب والأكراد، وعانى العلويون الاضطهاد من أتاتورك.

وأثرت سياسيات تركيا ضد الأكراد حيث قمع العشائر وتجريم استخدام اللغة الكردية، وفرض الأحكام العرفية المتتالية على علاقة العلويين بالدولة وشجعهم على الابتعاد عنها .

وفي العقد الثالث من القرن العشرين، وصل الابتعاد العلوي الكردي عن الدولة التركية حدّاً طالب زعماءهم فيه بتشكيل ولاية كردية مستقلة ضمن الدولة، ثم تطورت المطالبة، حين لم يذعن الأتراك لذلك إلى القول بضرورة إنشاء دولة كردية، كما جرى ذلك في تمرد سيد رضا سنة 1947.

ومنذ عام 1927، أطلق العلويون الأكراد "انتفاضات" عدة كان أهمها تمرد سنة 1947 جردت الدولة خلالها حملة عسكرية واسعة لإخمادها واعتقال قادتها، ومن ثم أعدمت ثلاثة منهم، وهم سيد رضا وديا آغا وحسن خيري، على الرغم من أن الأخيرين كانا من المقربين من أتاتورك أيام حكمه.

وبعد إخماد الدولة لثورات الأكراد العلويين، واشتداد ساعد الدولة انحسرت الثورات المسلحة ضدها في سنوات الخمسينات، الأمر الذي جعل العلويين لا يرون بديلاً عن النشاط السياسي.

نشاطهم السياسي

شعر العلويون أن حملهم للسلاح في مواجهة الدولة التركية في سنوات الثلاثينات والأربعينات لم يجلب لهم الخير، فتوجهوا إلى العمل السياسي بدءاً من سنوات الخمسينات، خاصة أن تعدادهم كبير (12%) من مجموع سكان تركيا، الأمر جعلهم ينخرطون في صفوف الأحزاب السياسية القائمة، وكانوا يؤلفون دائماً ما بين 16 ـ 18% من عدد نواب البرلمان القائمة خلال 1950ـ 1980.

ففي الفترة الواقعة ما بين 1950ـ 1957 دعموا الحزب الديمقراطي بزعامة عدنان مندريس، إلاّ أنه بعد ظهور التوجهات ذات الطابع الديني لذلك الحزب، نظر العلويون ببرود إلى ذلك التطور واتجهوا إلى تأييد عصمت اينونو، زعيم حزب الشعب الجمهوري، منذ ذلك الوقت إلى الآن، على الرغم من قتل المئات منهم في منطقة مرعش، أثناء تولي بولند

أجاويد زعيم حزب الشعب الجمهوري في السبعينات رئاسة حكومة ائتلافية.

وجاء انقلاب سنة 1960 العسكري ليحبط آمالهم، إذ جرى اعتقال العديد من نشطائهم، فيما جرى نقل أعداد كبيرة منهم إلى ألمانيا وفق عقود عمل رسمية بين الدولتين التركية والألمانية.

وساهمت هذه الأحداث في انخراط العلويين في صفوف المنظمات اليسارية والأحزاب الاشتراكية التي جرى تأسيسها في الستينات من القرن الماضي.

ورغم أن العلويين حققوا مكاسب بانضمامهم إلى هذه الأحزاب، إلاّ أن سائر العلويين اتجهوا إلى تكتل سياسي في حزب شبه طائفي أسس عام 1966 باسم "حزب الوحدة" إلاّ أن هذا الحزب لم يحقق النجاح المطلوب، إذ حصل على 15 مقعداً فقط في مجلس الشعب التركي، وكان مؤسسه آنذاك مصطفى تيمس، أحد قيادات حزب الشعب الجمهوري في التسعينات، الحزب الذي يحصل عادة على 90% من أصواته من الكتلة العلوية.

ومع انقلاب الجنرال كنعان ايفرين سنة 1980 وإلغائه الدستور والبرلمان والأحزاب، دخل العلويون مرحلة جديدة، حيث تم وضع دستور جديد سنة 1982 نص على تدريس مادة الدين في كافة المراحل الدراسية والتوسع في فتح مدارس الأئمة والخطباء دون الالتفات إلى مطالب العلويين أو السماح لهم بإنشاء "بيوت الجمع" على غرار الساجد السينة.

ومن هنا دخل عز الدين دوغان،أحد أبرز القادة العلويين، في مساومات مع جميع الأحزاب السياسية التي تشكلت بعد عام 1983، من أجل تحقيق مطالب العلويين لقاء تأييدهم لمرشحي تلك الأحزاب، غير أنها جميعاً لم تلتزم بوعودها.

وفي انتخابات نوفمبر 2002 التي فاز فيها حزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب اردوغان فوزاً ساحقاً، طرح العلويون المطالب التالية على الأحزاب السياسية ـ عدا حزب العدالة ـ هي:

1ـ تمثليهم في الهيئة الإدارية لرئاسة الشؤون الدينية بحسب نسبتهم من عدد السكان.

2ـ تخصيص مبالغ معينة من ميزانية الدولة لمساعدة مؤسسة بيوت الجمع أسوة بمساعدتها لإنشاء المساجد.

3ـ إقرار الدستور قيام المدارس بتدريس نوعين من الدروس الدينية:

درس الدين والأخلاق الإلزامي، ودرس الدين الاختياري، وطالبوا بإدخال مبادئ عقيدتهم إلى درس الدين الإجباري أسوة بالمذهب السني.

4ـ تخصيص وقت محدد ضمن البرامج الدينية المذاعة في هيئة الإذاعة التركية TRT لنشر الأفكار العلوية.

نشاطهم الديني والثقافي

بالرغم من عدم بناء العلويين للمساجد، إلاّ أن أحد زعمائهم وهو النائب السابق جمال شاهين بادر قبل سنوات ببناء أول جامع في محافظة تشوروم وسماه "جامع أهل البيت"، وهذا يحدث لأول مرة منذ ألف عام.

ونستطيع أن نرصد عدداً من الأنشطة الدينية البارز للعلويين في تركيا منها:

1ـ المطالبة بأن يكونوا ممثلين برئاسة الشؤون الدينية، وعدم حظر تكاياهم وزواياهم، والمطالبة بإنشاء المؤسسات الخاصة بهم ووقف الجمع.

2ـ احتفالهم بيوم عاشوراء في مدينتي أنقرة واسطنبول، حيث أقاموا احتفالات شعبية بعد أن كان ذلك ممنوعاً، ومثلما يقوم الشيعة الاثنى عشرية، قام العلويون بضرب أنفسهم بالسلاسل وسط البكاء على استشهاد الحسين في كربلاء. وقد شارك الآلاف منهم في هذه المناسبة.

3ـ انعقاد المؤتمر العام الرابع لجمعية أهل البيت في الفترة 8 ـ 10 ابريل/ نيسان 2000 بحضور عدد من رؤساء الأحزاب والسياسيين الأتراك. وتسعى هذه الجمعية لإقامة مؤتمر عالمي لأهل البيت بشكل سنوي، علاوة على الرغبة في إقامة جامعة يطلق عليها اسم "جامعة أهل البيت"

4ـ المطالبة بأن تنفق الدولة من ميزانيتها على نشر العقائد العلوية، وأن تقوم الإذاعة والتلفزيون ببث برامج عن عقائدهم، إضافة إلى إدخالها في المناهج الدراسية.

5ـ مطالبة الدولة بالمساهمة في بناء بيوت العبادة للعلويين أسوة بمساجد السنة.

6ـ مطالبة الدولة بأن تمنع رئاسة الشؤون الدينية من إقامة جوامع في القرى العلوية أو إرسال أئمة مساجد.

7ـ المطالبة بعدم تدريس الدين الإسلامي في المدارس، لأن التدريس يتم وفق مذهب السنة.

8ـ مجاملة رئاسة الشؤون الدينية في تركيا العلويين، حيث أصدر محمد نوري ييلماز رئيس الشؤون الدينية تعميماً يخصهم، عندما ألزم كافة المساجد التركية بأن تكون خطبة صلاة التراويح ليوم الثلاثاء 21 رمضان 1423هـ (26/11/2002) عن حياة الإمام علي بن أبي طالب وذلك بمناسبة ذكرى وفاته.

وقد أعرب عز الدين دوغان، رئيس اتحاد بيوت الجمع العلوية عن امتنانه لهذه الخطوة ـ التي تأخرت كثيراً ـ.

بعض مؤسساتهم

1ـ هيئة الجمعيات العلوية التركية، وقفية الجمع العلوية ويرأسها عز الدين دوغان.

2ـ اتحاد المنظمات والجمعيات العلوية في أوربا. ويرأسه علي رضا جول تشيشل.

3ـ مؤسسة غازي الثقافية في اسطنبول ـ وقف آل البيت البكتاشية العلوية سابقاً ـ ويرأسها خضر الماس.

العلاقة مع العلويين في سوريا

سبق القول أن العلويين في تركيا ينقسمون إلى مجموعتين رئيستين:

الأولى تعتبر امتداداً للعلويين في سوريا، وهي الجزء الأصغر من بين العلويين ويقيم هؤلاء بشكل خاص في لواء اسكندرونة الذي تسيطر عليه تركيا حالياً.

والمجموعة الثانية: هم علويو الأناضول الذين ينقسمون بين الأتراك والأكراد وبعض التركمان، وهؤلاء هم الفئة الكبرى.

وتشكل المجموعة الثانية كياناً علوياً مستقلاً، بمؤسساته وقومياته وشخصياته رغم وجود تشابه مع العلويين في سوريا فيما يتعلق بالعقائد والعبادات، وقد حرص العلويون في تركيا على مد جسور التعاون مع أشقائهم العلويين في الدول الأخرى، وقد بدا ذلك واضحاً إبان الانتخابات البرلمانية الأخيرة عام 2002، إذ أرسل العلويون مندوبيهم إلى مختلف الدول التي يعيش فيها أبناء الطائفة للبحث عن مساعدات مالية وسياسية.

وقد أعربت رئاسة الأركان في تركيا عن خشيتها من إمكانية تأثير قوى خارجية على العلويين، فتسعى للضغط على الأحزاب السياسية من أجل استيعاب العلويين، والتظاهر بدعم حقوقهم.

العلاقة مع البكتاشية

ثمة خلاف واضح في وصف العلاقة بين العلويين في تركيا وبين فرقة البكتاشية[2]، فهناك من يفرق بينهما ويجعلهما شيئين مختلفين رغم الشبه الشديد بينهما، وهناك من يجعلهما شيئاً واحداً، ويعتبر أن البكتاشية هي اسم من أسماء طائفة العلويين.

ولاشك أن قلة المصادر التي بين أيدينا تلعب دوراً في هذا التناقض والذي نراه أن العلويين هم فرقة غير فرقة البكتاشية رغم الشبه الشديد، فالاثنان يجمع بينهما التشيع وتقديس الأئمة والأولياء، والتبعية للحاج بكتاش، والإقبال على شرب الخمر.

ويفترقون في هيئات دور العبادة، فالعلويون لديهم ما يسمى "بيوت الجمع" والبكتاشون تسمى العبادة عندهم "تكايا" وهي تختلف في هيئاتها ودورها عن بيوت الجمع.

ويختلف في مراتب المنتسبين إلى الطائفة، فعند الباكتاشية (عاشق، طالب، محب، درويش، بابا...) وفي حين لا يوجد عند العلويين هذا التقسيم.

---

[2]) البكتاشية فرقة صوفية شيعية نشأت في تركيا على يد الحاج بكتاش في القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي)، وهي مزيج من عقائد الصوفية والشيعة الاثنى عشرية، وقد نشرنا في العدد الماضي من الراصد مقالاً مفصلاً عن هذه الفرقة في باب/ فرق.

ومؤسس البكتاشية هو حاجي بكتاش المولود سنة 646هـ، في حين تنسب النصيرية أو الفرقة العلوية إلى أبي شعيب محمد بن نصير البصري النميري المتوفى سنة 270هـ. إلى غير ذلك من الفروقات.

للاستزادة:

1ـ العلويون في تركيا ـ يوسف الجهماني.

2ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الطبعة الثالثة ـ المجلد الأول.

3ـ مقال: العلويون أصحاب دين جديد أم طريقة تصوف أو مذهب سياسي لعصر العولمة؟ ـ إبراهيم الداقوقي.

4ـ دراسة: العلويون في تركيا المنشورة في موسوعة النهرين ـ حنان أتلاي.

استشهاد الحسين رضي الله عنه في عاشوراء

عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وقد اتفق العلماء على استحباب صيامه، فقد جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود يصومونه، فقال لهم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: يوم عظيم نجّى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً لله فنحن نصومه، فقال صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه.

ومخالفة لليهود، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصيام اليوم الذي يسبقه (التاسع) معه، وقد كان صيام عاشوراء في أول العهد المدني واجبا ثم فرض الله صيام رمضان فصار صيام عاشوراء سنة مستحبة.

وصيام يوم عاشوراء أجره عظيم فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أحتسب عند الله أن يكفر السنة التي قبله". ومن قدر الله أن يكون مقتل الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما في هذا اليوم، ففي العاشر من المحرم سنة 61هـ استشهد الحسين رضي الله عنه، وفجعت الأمة بفقد حفيد النبي صلى الله عليه وسلم وريحانته وسيد شباب أهل الجنة، وابن فاطمة سيدة نساء العالمين. الحسين الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي أخيه الحسن رضي الله عنه: اللهم إني أحبهما فأحبهما.

تبدأ الأحداث بتولي يزيد بن معاوية الخلافة سنة 60 هـ، بوصية من والده، وهو الأمر الذي رفضه الإمام الحسين، ورفض رضي الله عنه مبايعة يزيد، واتجه من المدينة إلى مكة، وهناك أخذت تصل إليه الكتب من أهل العراق ليبايعوه ويطلبوا منه القدوم إلى الكوفة، وبلغ عدد الكتب المئات بل إن محمد كاظم القزويني يذكر في "فاجعة الطف" أنه اجتمع عند الحسين اثنا عشر ألف كتاب من أهل العراق وكلها مضمون واحد كتبوا إليه: قد أينعت الثمار واخضر الجنان وإنما تقدم على جند لك مجند. إن لك في الكوفة مئة ألف سيف. إذا لم تقدم إلينا فإنا خصمك غداً بين يدي الله .

عند ذلك أرسل الحسين رضي الله عنه ابن عمه مسلم بن عقيل ليتقصى الأمور هناك، فلما وصل مسلم إلى الكوفة علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد بل يريدون الحسين، ثم جاء الناس أرتالا يبايعون مسلماً على بيعة الحسين.

وكان والي الكوفة حينها النعمان بن بشير وقد غض الطرف عمّا يجري من أمر مسلم حتى وصلت الأخبار إلى يزيد فعزله، وعين عبيد الله بن زياد مكانه.

عندها أرسل مسلم إلى ابن عمه الحسين يدعوه للقدوم لما رأى الناس في الكوفة قد بايعوه، وأعلنوا له الولاء. وظن أنهم جادّون في نصرته والالتزام بالبيعة.

وخرج مسلم ومعه أربعة آلاف وحاصروا قصر عبيد الله بن زياد، لكن هذا العدد من أهل الكوفة سرعان ما انصرف عن مسلم وخذله حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً من أربعة آلاف بعد أن أرسل ابن زياد إلى رؤساء العشائر يهددهم بجيش الشام ويطمعهم، فجعلوا يتفرقون عن مسلم إلى أن بقي وحيداً، وقتل مسلم رحمه الله، وقبل موته أوصى بأن يرسل إلى الحسين أن يرجع ولا يأتي إلى الكوفة، وقال كلمته المشهورة: ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي.

قتل مسلم بن عقيل في يوم عرفة، وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية أي قبل مقتل مسلم بيوم واحد. وحاول كثير من الصحابة منع الحسين من الخروج، فإنهم كانوا يرون الخروج يجر إلى مفسدة، فقد ذكر الإمام ابن كثير في "البداية والنهاية" أن ابن عباس قال للحسين: لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب .

وأما ابن عمر فقد لحق بالحسين على مسيرة ثلاثة أيام وقال له: لا تأتهم، فأبى الحسين إلا أن يذهب، فقال عبد الله بن عمر: إني محدثك حديثاً إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة منه، والله لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم فأبى أن يرجع.

وأما عبد الله بن الزبير فخاطب الحسين قائلا: تذهب إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك. وعندما سأل الحسينُ الشاعرَ الفرزدق عن أحوال أهل العراق وكان الفرزدق عائداً من هناك أجابه: قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.

وعندما وصل إلى الحسين خبر مقتل مسلم همّ بالرجوع لكنه نزل مع رأي أبناء مسلم الذين أرادوا الثأر لأبيهم . وهنا يرسل عبيد الله بن زياد جيشاً لملاقاة الحسين في الطريق وكان يرأسه الحر بن يزيد التميمي الذي لقي الحسين قريباً من القادسية وكان يعاكسه ويحاول منعه من القدوم إلى الكوفة.

أراد الحسين رضي الله عنه ـ في هذه الأثناء وبعد أن صار الاشتباك وشيكا ـ إحدى ثلاث: إما أن يرجع، أو يذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين، أو يذهب إلى يزيد حتى يضع يده في يده في الشام. لكن ابن زياد لم يقبل حتى ينزل الحسين على حكمه، أي

أن يأتي الحسين إلى ابن زياد في الكوفة وهو يقرر ما سيفعل به، أن يدعه يرجع من حيث أتى من المدينة أو يسير إلى ثغر أو يتوجه إلى يزيد بالشام، فأبى الحسين ذلك.

وكان ابن زياد يصر على أن ينزل الحسين على حكمه أو أن يقاتل، وكان لا مفر من القتال، وكانت الكفتان غير متكافئتين: الحسين معه بضع وسبعون فارساً وجيش ابن زياد بضعة آلاف، ولم يبق أحد من أصحاب الحسين، فلقد كانوا يموتون بين يديه وبقي الحسين نهاراً طويلاً لا يقدم عليه أحد حتى يرجع لا يريد أن يُبتلى بقتله رضي الله عنه، واستمر هذا الوضع حتى جاء شمر بن ذي الجوشن وصاح بالناس بأن يحيطوا بالحسين ويقتلوه. والذي باشر قتل الحسين رضي الله عنه هو سنان بن أنس النخعي وحزّ رأسه، وقيل أن الذي قتله هو شمر بن ذي الجوشن قبحه الله.

بعد أن قُتل الحسين حُمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة وأخذ قبّحه الله يدخل قضيباً في فم الحسين، ويضربه ويقول إن كان لحسن الثغر.

وقتل مع الحسين كثير من أهل بيته منهم إخوانه جعفر والعباس وأبو بكر ومحمد وعثمان أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن أبناء الحسين قتل جعفر وعبد الله وعبد الرحمن، وكان مسلم قد قتل بالكوفة قبلهم.

ومن أولاد عبد الله بن جعفر قتل عون ومحمد. والغريب أن المرء لا يجد في كتب الشيعة ذكراً لأبي بكر وعثمان أبناء علي ضمن الذين قتلوا مع الحسين، حتى لا يقال أن علياً سمى أبناءه على أسماء هؤلاء الأخيار من الخلفاء الراشدين.

ولم يثبت أن رأس الحسين أرسل إلى يزيد في الشام، بل إنه بقي عند ابن زياد في الكوفة، كما أنه لم يثبت أن يزيد سبى نساء أهل البيت وأهانهن.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة" أن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق.

استشهد الحسين رضي الله عنه ومات مظلوماً ولقد كان موته مصيبة حلت بالمسلمين. يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً".

وما قاله ابن تيمية رحمه الله هو ما عليه أهل السنة الذين يحبون نبيهم صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطيبين، ويقولون أن الحسين سيد شباب الجنة، وقد مات مظلوماً رضي الله عنه.

ومقتل الحسين وإن كان مصيبة حلت بالأمة، إلاّ أنها أصيبت بمصائب أكبر، وكل مصيبة تهون بمصيبة فقد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى الدارمي ومالك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أصيب أحدكم بمصيبة، فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب". والواجب على المسلم في هذه الأحوال أن يلجأ إلى الله ويصبر ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون.

نقول هذا لنعرج على ما يحدث في يوم عاشوراء من بدع ومنكرات بحجة الحزن على الحسين، ونوجزها فيما يلي:

1ـ الصياح والنياحة، وشق الجيوب واللطم على الوجه.

2ـ ضرب الجسد بالسلاسل والسيوف وإنزال الدم.

3ـ الأقوال التي فيها مبالغة وغلو بمدح الحسين، وشد الرحال إلى قبره والاعتقاد بأن زيارة قبره ـ كما جاء في الكافي للكليني وثواب الأعمال لابن بابويه وتهذيب الأحكام للطوسي وغيرها كثير ـ تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين حجة وعمرة.

وجاء في هذه الكتب أيضاً أن "من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه، في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجة مبرورات مقبولات... ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة... ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه، كتب الله له ألف حجة، وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل".

4ـ اللعن والشتم الذي يصل إلى تكفير الصحابة، وغرس البغضاء في قلوب الناس.

5ـ ابطال سنة الصيام ، وحث العوام على الفطر والأكل، والادعاء بأن الصيام في هذا اليوم بدعة أموية.

6ـ تقديم النذور من لحم وأرز وغيره كلها باسم الحسين رضي الله عنه، والواجب أن يكون الذبح والنذر وسائر العبادات لله دون غيره.

7ـ عدم الأمر بالمعروف وكف الناس عن المخالفات.

8ـ تحريم الزواج في هذا اليوم والمعاشرة بين الأزواج..

وغيرها كثير.

للاستزادة :

1 – حقبة من التاريخ - عثمان الخميس .

2 – فصل الخطاب في مواقف الأصحاب - محمد صالح الغرسي .

3 – ثناء ابن تيمية على أمير المؤمنين علي - علي محمد القصيبي .

حقيقة موضع رأس الحسين وقبره ؟

تعددت المزارات التي تدعي وجود رأس أو جسد الحسين رضي الله عنه ولمعرفة جانب من الحقيقة في هذا الباب نورد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الموضوع نقلاً عن مجموع الفتاوى (ج 27 ص 446) مع الاقتصار على الجانب التاريخي في الموضوع . الراصد

سئل ابن تيمية : هل المشاهد المسماة باسم علي بن أبي طالب وولده الحسين –رضي الله عنهما- صحيحة أم لا ؟ وتثبت قبر علي؟

فأجاب:

أما هذه المشاهد المشهورة, فمنها ما هو كذب قطعاً, مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف إلى ((أبي بن كعب)), والمشهد الذي بظاهرها المضاف إلى ((أويس القرني)), والمشهد الذي بمصر المضاف إلى ((الحسين)) –رضي الله عنه- إلى غير ذلك من المشاهد التي يطول ذكرها بالشام والعراق ومصر وسائر الأمصار, حتى قال طائفة من العلماء؛ منهم عبد العزيز الكناني: كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء منها إلا قبر النبي r, وقد أثبت غيره –أيضاً- قبر الخليل عليه السلام.

وأما ((مشهد علي)), فعامة العلماء على أنه ليس قبره, بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة, وذلك أنه إنما أظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه, وذكروا أن أصل ذلك حكاية بلغتهم عن الرشيد أنه أتى إلى ذلك المكان وجعل يعتذر إلى من فيه مما جرى بينه وبين ذرية علي, وبمثل هذه الحكاية لا يقوم شيء. فالرشيد –أيضاً- لا علم له بذلك. ولعل هذه الحكاية إن صحت عنه فقد قيل له ذلك كما قيل لغيره, وجمهور أهل المعرفة يقولون: إن علياً إنما دفن في قصر الإمارة بالكوفة أو قريباً منه. وهكذا هو السنة؛ فإن حمل ميت من الكوفة إلى مكان بعيد ليس فيه فضيلة, أمر غير مشروع, فلا يُظن بآل علي –رضي الله عنه- أنهم فعلوا به ذلك, ولا يُظن –أيضاً- أن ذلك خفي على أهل بيته وللمسلمين ثلاثمائة سنة, حتى أظهره قوم من الأعاجم الجهال ذوي الأهواء.

وكذلك ((قبر معاوية)) الذي بظاهر دمشق, قد قيل: إنه ليس قبر معاوية, وأن قبره بحائط مسجد دمشق الذي يقال: إنه ((قبر هود)).

وأصل ذلك أن عامة أمر هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلق, لا يكاد يوقف منه على العلم إلا في قليل منها بعد بحث شديد. وهذا لأن معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام, ولا ذلك من حكم الذكر الذي تكفل الله بحفظه, حيث قال:)**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون**(**[الحجر:9]** .

وسئل شيخ الإسلام –قدس الله روحه- عن المشهد المنسوب إلى الحسين –رضي الله عنه- بمدينة القاهرة:

هل هو صحيح أم لا؟

وهل حمل رأس الحسين إلى دمشق, ثم إلى مصر, أم حمل إلى المدينة من جهة العراق؟ وهل لما يذكره بعض الناس من جهة المشهد الذي كان بعسقلان صحة أم لا؟

ومن ذكر أمر رأس الحسين, ونقله إلى المدينة النبوية دون الشام ومصر؟

ومن جزم من العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن مشهد عسقلان ومشهد القاهرة مكذوب, وليس بصحيح؟

وليبسطوا القول في ذلك لأجل مسيس الضرورة والحاجة إليه, مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى.

فأجاب:

الحمد لله, بل المشهد منسوب إلى الحسين بن علي –رضي الله عنهما- الذي بالقاهرة كذب مختلق, بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم, الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم. ولا يعرف عن عالم مسمى معروف بعلم وصدق أنه قال: إن هذا المشهد صحيح. وإنما يذكره بعض الناس قولاً عمن لا يعرف, على عادة من يحكي مقالات الرافضة وأمثالهم من أهل الكذب.

فإنهم ينقلون أحاديث وحكايات, ويذكرون مذاهب ومقالات. وإذا طالبتهم بمن قال ذلك ونقله, لم يكن لهم عصمة يرجعون إليها. ولم يسموا أحداً معروفاً بالصدق في نقله, ولا بالعلم في قوله, بل غاية ما يعتمدون عليه أن يقولوا: أجمعت الطائفة الحقة. وهم عند أنفسهم الطائفة الحقة, الذين هم عند أنفسهم المؤمنين, وسائر الأمة سواهم كفار.

...

وهكذا كل ما ينقلونه من هذا الباب. ينقلون سيراً أو حكاياتٍ وأحاديثَ, إذا ما طالبتهم بإسنادها لم يحيلوك على رجل معروف بالصدق, بل حسب أحدهم أن يكون سمع ذلك من آخر مثله, أو قرأه في كتاب ليس فيه إسناد معروف, وإن سموا أحداً, كان من المشهورين بالكذب والبهتان. لا يتصور قط أن ينقلوا شيئاً مما لا يعرف عند علماء السنة إلا وهو عن مجهول لا يعرف, أو عن معروف بالكذب.

ومن هذا الباب نقل الناقل: أن هذا القبر الذي بالقاهرة –مشهد الحسين رضي الله عنه- بل وكذلك مشاهد غير هذا مضافة إلى قبر الحسين –رضي الله عنه- فإنه معلوم باتفاق الناس: أن هذا المشهد بُني عام بضع وأربعين وخمسمائة, وأنه نقل من مشهد بعسقلان, وأن ذلك المشهد بعسقلان كان قد أحدث بعد التسعين والأربعمائة.

فأصل هذا المشهد القاهري: هو ذلك المشهد العسقلاني. وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة, وهذا

القاهري محدث بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة. وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم, على اختلاف أصنافهم, كأهل الحديث, ومصنفي أخبار القاهرة, ومصنفي التواريخ. وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة. فمثل هذا مستفيض عندهم. وهذا بينهم مشهور متواتر, سواء قيل: إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب, لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية.

وإذا كان أصل هذا المشهد القاهري منقول عن ذلك المشهد العسقلاني باتفاق الناس وبالنقل المتواتر؛ فمن المعلوم أن قول القائل: إن ذلك الذي بعسقلان هو مبني على رأس الحسين –رضي الله عنه- قول بلا حجة أصلاً. فإن هذا لم ينقله أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا. لا من أهل الحديث, ولا من علماء الأخبار والتواريخ, ولا من العلماء المصنفين في النسب؛ نسب قريش, أو نسب بني هاشم ونحوه.

وذلك المشهد العسقلاني, أحدث في آخر المائة الخامسة, لم يكن قديماً, ولا كان هناك مكان قبله أو نحوه مضاف إلى الحسين, ولا حجر منقوش ولا نحوه مما يقال: إنه علامة على ذلك.

فتبين بذلك أن إضافة مثل هذا إلى الحسين قول بلا علم أصلاً. وليس من قائل ذلك ما يصلح أن يكون معتمداً, لا نقل صحيح ولا ضعيف, بل لا فرق بين ذلك وبين أن يجيء الرجل إلى بعض القبور التي بأحد أمصار المسلمين, فيدعي أن في واحد منها رأس الحسين, أو يدعي أن هذا قبر نبي من الأنبياء, أو نحو ذلك مما يدعيه كثير من أهل الكذب والضلال.

ومن المعلوم أن مثل هذا القول غير منقول باتفاق المسلمين.

وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء: أن يدعي أنه رأى مناماً, أو أنه وجد بذلك القبر علامة تدل على صلاح ساكنه؛ إما رائحة طيبة, وإما توهم خرق عادة ونحو ذلك, وإما حكاية عن بعض الناس: أنه كان يعظم ذلك القبر.

فأما المنامات فكثير منها, بل أكثرها كذب, وقد عرفنا في زماننا بمصر والشام والعراق من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي, أو أن فيه أثر نبي ونحو ذلك. ويكون كاذباً. وهذا الشيء منتشر. فرائي المنام غالباً ما يكون كاذباً, وبتقدير صدقه, فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان . والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق. فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله, ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه, ورؤيا من الشيطان))[3] .

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة. فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع.

ومن الناس –حتى من الشيوخ الذي لهم ظاهر علم وزهد- من يجعل مستنده في مثل ذلك حكاية يحكيها عن مجهول, حتى إن منهم من يقول: حدثني أخي الخضر أن قبر الخضر بمكان كذا. ومن المعلوم الذي بيناه في

---

[3]()البخاري في التعبير (17-7) ومسلم في الرؤيا (2263/6), كلاهما عن أبي هريرة.

غير هذا الموضع أن كل من ادعى أنه رأى الخضر, أو سمع شخصاً رأى الخضر أو ظن الرائي أنه الخضر: أن كل ذلك لا يجوز إلا على الجهلة المخرفين, الذين لا حظ لهم من علم ولا عقل ولا دين, بل هم من الذين لا يفقهون ولا يعقلون.

وأما ما يذكر من وجود رائحة طيبة, أو خرق عادة أو نحو ذلك مما يتعلق بالقبر, فهذا لا يدل على تعينه. وأنه فلان أو فلان, بل غاية ما يدل عليه –إذا ثبت- أنه دليل على صلاح المقبور, وأنه قبر رجل صالح أو نبي.

وقد تكون تلك الرائحة مما صنعه بعض السوقة. فإن هذا مما يفعله طائفة من هؤلاء, كما حدثني بعض أصحابنا أنه ظهر بشاطئ الفرات رجلان, وكان أحدهما قد اتخذ قبراً تجبى إليه أموال ممن يزوره وينذر له من الضلال, فعمد الآخر إلى قبر, وزعم أنه رأى في المنام أنه قبر عبد الرحمن بن عوف, وجعل فيه من أنواع الطيب ما ظهرت له رائحة عظيمة.

وقد حدثني جيران القبر الذي بجبل لبنان بالبقاع, الذي يقال: إنه قبر نوح, وكان قد ظهر قريباً في أثناء المائة السابعة, وأصله: أنهم شموا من قبر رائحة طيبة ووجدوا عظاماً كبيرة, فقالوا: هذه تدل على كبير خلق البنية. فقالوا –بطريق الظن- هذا قبر نوح. وكان بالبقعة موتى كثيرون من جنس هؤلاء.

وكذلك هذا المشهد العسقلاني, قد ذكر طائفة أنه قبر بعض الحواريين أو غيرهم من أتباع عيسى بن مريم. وقد يوجد عند قبور الوثنيين من جنس ما يوجد عند قبور المؤمنين, بل إن زعم الزاعم أنه قبر الحسين ظن وتخرص. وكان من الشيوخ المشهورين بالعلم والدين بالقاهرة من ذكروا عنه أنه قال: هو قبر نصراني.

وكذلك بدمشق بالجانب الشرقي مشهد يقال: إنه قبر أبي بن كعب. وقد اتفق أهل العلم على أن أبيا لم يقدم دمشق. وإنما مات بالمدينة. فكان بعض الناس يقول: إنه قبر نصراني. وهذا غير مستبعد. فإن اليهود والنصارى هم السابقون في تعظيم القبور والمشاهد؛ ولهذا قال في الحديث المتفق عليه: ((لعن الله اليهود والنصارى, اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما فعلوا.

والنصارى أشد غلواً في ذلك من اليهود, كما في الصحيحين عن عائشة: أن النبي ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة –رضي الله عنهما- كنيسة بأرض الحبشة, وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها. فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح, فمات, بنوا على قبره مسجداً, وصوروا فيه تلك التصاوير, أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)) .

والنصارى كثيراً ما يعظمون آثار القديسين منهم. فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقهم على تعظيمه. كيف لا وهم قد أضلوا كثيراً من جهال المسلمين, حتى صاروا يعمّدون أولادهم, ويزعمون أن ذلك يوجب طول العمر للولد, وحتى جعلوهم يزورون ما يعظمونه من الكنائس والبيع, وصار كثير من جهال المسلمين ينذرون للمواضع التي يعظمها النصارى, كما قد صار كثير

مـن جهـالهم يـزورون كنـائس النصـارى ويلتمسـون البركـة مـن قسيسـيهم ورهبانهم ونحوهم؟!

.....

وإذا كان ذلك المشهد العسقلاني قد قال طائفة: إنه قبر بعض النصارى, أو بعض الحواريين –وليس معنا ما يدل على أنه قبر مسلم, فضلاً عن أن يكون قبراً لرأس الحسين- كان قول من قال: إنه قبر مسلم – الحسين أو غيره- قولاً زوراً وكذباً مردوداً على قائله.

فهذا كاف في المنع من أن يقال: هذا مشهد الحسين.

فصل

ثم نقول: بل نحن نعلم ونجزم بأنه ليس فيه رأس الحسين, ولا كان ذلك المشهد العسقلاني مشهداً للحسين, من وجوه متعددة:

منها: أنه لو كان رأس الحسين هناك لم يتأخر كشفه وإظهاره إلى ما بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة سنة. ودولة بني أمية انقرضت قبل ظهور ذلك بأكثر من ثلاثمائة وبضع وخمسين سنة. وقد جاءت خلافة بني العباس. وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثير منها كذباً. وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هناك مشهداً. وكان ينتابه أمراء عظماء, حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة. وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء يقال: إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب.

دع خلافة بني العباس في أوائلها, وفي حال استقامتها, فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد, سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً, كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه. ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام, لا في الحجاز, ولا اليمن, ولا الشام, ولا العراق, ولا مصر, ولا خراسان, ولا المغرب, ولم يكن قد أحدث مشهد, لا على قبر نبي, ولا صاحب, ولا أحد من أهل البيت, ولا صالح أصلاً, بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك. وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس, وتفرقت الأمة, وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين, وفشت فيهم كلمة أهل البدع, وذلك في دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة, فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب. ثم جاؤوا بعد ذلك إلى أرض مصر.

ويقال: إنه حدث قريباً من ذلك المكوس في الإسلام.

وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه. وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية. وفي دولتهم قوي بنو عبيد القداح بأرض مصر, وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي –رضي الله عنه- بناحية النجف, وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك, وإنما دفن علي –رضي الله عنه- بقصر الإمارة بالكوفة, وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد: أنه جاء إلى بقعة هناك, وجعل يتعذر إلى المدفون فيها, فقالوا: إنه علي, وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده فقالوا: هذا قبر علي, وقد قال قوم: إنه قبر المغيرة بن شعبة, والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع.

فإن كان بنو بويه وبنو عبيد –مع ما كان في الطائفتين من الغلو في التشيع, حتى إنهم كانوا يظهرون في دولتهم ببغداد يوم عاشوراء من شعار الرافضة ما لم يظهر مثله, مثل تعليق المسوح على الأبواب, وإخراج النوائح بالأسواق, وكان الأمر يفضي في كثير من الأوقات إلى قتال تعجز الملوك عن دفعه. وبسبب ذلك خرج الخرقي –صاحب المختصر في الفقه- من بغداد, لما ظهر بها سب السلف. وبلغ من أمر القرامطة الذين كانوا بالمشرق في تلك الأوقات أنهم أخذوا الحجر الأسود, وبقي معهم مدة, وأنهم قتلوا الحُجّاج وألقوهم ببئر زمزم.

فإذا كان مع كل هذا لم يظهر حتى مشهد للحسين بعسقلان, مع العلم بأنه لو كان رأسه بعسقلان لكان المتقدمون من هؤلاء أعلم بذلك من المتأخرين, فإذا كان مع توفر الهمم والدواعي والتمكن والقدرة لم يظهر ذلك, علم أنه باطل مكذوب, مثل ما يدعي أنه شريف علوي. وقد علم أنه لم يدع هذا أحد من أجداده, مع حرصهم على ذلك لو كان صحيحاً, فإنه بهذا يعلم كذب هذا المدعي, وبمثل ذلك علمنا كذب من يدعي النص على خلافة علي, أو غير ذلك مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ولم ينقل.

الوجه الثاني: أن الذين جمعوا أخبار الحسين ومقتله –مثل أبي بكر بن أبي الدنيا, وأبي القاسم البغوي وغيرهما- لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل إلى عسقلان ولا إلى القاهرة.

وقد ذكر نحو ذلك أبو الخطاب بن دحية في كتابه الملقب بـ ((العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور)), ذكر أن الذين صنفوا في مقتل الحسين أجمعوا أن الرأس لم يغترب, وذكر هذا بعد أن ذكر أن المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق, وأنه لا أصل له, وبسط القول في ذلك, كما ذكر في يوم عاشوراء ما يتعلق بذلك.

الوجه الثالث: أن الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين: أن الرأس حمل إلى المدينة, ودفن عند أخيه الحسن.

ومن المعلوم: أن الزبير بن بكار, صاحب كتاب ((الأنساب)) ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وصاحب الطبقات, ونحوهما من المعروفين بالعلم والثقة والاطلاع, أعلم بهذا الباب, وأصدق فيما ينقلونه من الجاهلين والكذابين, ومن بعض أهل التواريخ الذين لا يوثق بعلمهم ولا صدقهم, بل قد يكون الرجل صادقاً, ولكن لا خبرة له بالأسانيد حتى يميز بين المقبول والمردود, أو يكون سيء الحفظ أو متهماً بالكذب أو بالتزيد في الرواية, كحال كثير من الإخباريين والمؤرخين, لا سيما إذا كان مثل أبي مخنف لوط بن يحيى وأمثاله.

ومعلوم أن الواقدي نفسه خير عند الناس من مثل هشام بن الكلبي, وأبيه محمد بن السائب وأمثالهما, وقد علم كلام الناس في الواقدي, فإن ما يذكره هو وأمثاله إنما يُعتضد به, ويُستأنس به, وأما الاعتماد عليه بمجرده في العلم فهذا لا يصلح.

فإذا كان المعتمد عليهم يذكرون أن رأس الحسين دفن بالمدينة, وقد ذكر غيرهم أنه إما أن يكون قد عاد إلى البدن, فدفن معه بكربلاء, وإما أنه دفن بحلب, أو بدمشق أو نحو ذلك من الأقوال التي لا أصل لها, ولم يذكر

أحد ممن يعتمد عليه أنه بعسقلان –علم أن ذلك باطل, إذ يمتنع أن يكون أهل العلم والصدق على الباطل, وأهل الجهل والكذب على الحق في الأمور النقلية, التي إنما تؤخذ عن أهل العلم والصدق, لا عن أهل الجهل والكذب.

الوجه الرابع: أن الذي ثبت في صحيح البخاري: أن الرأس حمل إلى قدام عبيد الله بن زياد, وجعل ينكت بالقضيب على ثناياه بحضرة أنس بن مالك, وفي المسند: أن ذلك كان بحضرة يزيد بن معاوية. وهذا باطل. فإن أبا برزة, وأنس بن مالك كانا بالعراق, لم يكونا بالشام, ويزيد بن معاوية كان بالشام, لم يكن بالعراق حين مقتل الحسين, فمن نقل له نكت بالقضيب ثناياه بحضرة أنس وأبي برزة قدام يزيد فهو كاذب قطعاً, كذباً معلوماً بالنقل المتواتر.

ومعلوم بالنقل المتواتر: أن عبيد الله بن زياد كان هو أمير العراق حين مقتل الحسين, وقد ثبت بالنقل الصحيح: أنه هو الذي أرسل عمر بن سعد بن أبي وقاص مقدماً على الطائفة التي قاتلت الحسين, وكان عمر قد امتنع من ذلك, فأرغبه ابن زياد وأرهبه حتى فعل ما فعل.

...

والمقصود هنا أن نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له زمن يزيد. فكيف بنقله بعد زمن يزيد؟ وإنما الثابت هو نقله من كربلاء إلى أمير العراق عبيد الله بن زياد بالكوفة. والذي ذكر العلماء: أنه دفن بالمدينة.

...

الوجه الرابع: أنه لو قدر أنه حمل إلى يزيد, فأي غرض كان لهم في دفنه بعسقلان, وكانت إذ ذاك ثغرة يقيم به المرابطون؟ فإن كان قصدهم تعفية خبره فمثل عسقلان تظهره لكثرة من ينتابها للرباط. وإن كان قصدهم بركة البقعة فكيف يقصد هذا من يقال: إنه عدو له, مستحل لدمه, ساع في قتله؟

ثم من المعلوم: أن دفنه قريباً عند أمه وأخيه بالبقيع أفضل له.

الوجه الخامس: أن دفنه بالبقيع هو الذي تشهد له عادة القوم. فإنهم كانوا في الفتن, إذا قتلوا الرجل –لم يكن منهم- سلموا رأسه وبدنه إلى أهله, كما فعل الحجاج بابن الزبير لما قتله وصلبه, ثم سلمه إلى أمه.

وقد علم أن سعي الحجاج في قتل ابن الزبير, وأن ما كان بينه وبينه من الحروب أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه. فإن ابن الزبير ادعى الخلافة بعد مقتل الحسين, وبايعه أكثر الناس, وحاربه يزيد حتى مات وجيشه محاربون له بعد وقعة الحرة.

ثم لما تولى عبد الملك غلبه على العراق مع الشام, ثم بعث إليه الحجاج بن يوسف, فحاصره الحصار المعروف, حتى قتل, ثم صلبه, ثم سلمه إلى أمه.

وقد دفن بدن الحسين بمكان مصرعه بكربلاء, ولم ينبش, ولم يمثل به. فلم يكونوا يمتنعون من تسليم رأسه إلى أهله, كما سلموا بدن ابن الزبير إلى أهله, وإذا تسلم أهله رأسه, فلم يكونوا ليدعوا دفنه عندهم

بالمدينة المنورة عند عمه وأمه وأخيه, وقريباً من جده ويدفنونه بالشام, حيث لا أحد إذ ذاك ينصرهم على خصومهم, بل كثير منهم كان يبغضه ويبغض أباه. هذا لا يفعله أحد.

والقبة التي على العباس بالبقيع, يقال: إن فيها مع العباس الحسن وعلي بن الحسين, وأبو جعفر محمد بن علي, وجعفر بن محمد. ويقال: إن فاطمة تحت الحائط, أو قريباً من ذلك, وأن رأس الحسين هناك أيضاً.

الوجه السادس: أنه لم يعرف قط أن أحداً, لا من أهل السنة, ولا من الشيعة, كان ينتاب ناحية عسقلان لأجل رأس الحسين, ولا يزورونه ولا يأتونه. كما أن الناس لم يكونوا ينتابون الأماكن التي تضاف إلى الرأس في هذا الوقت, كموضع بحلب.

فإذا كانت تلك البقاع لم يكن الناس ينتابونها ولا يقصدونها, وإنما كانوا ينتابون كربلاء؛ لأن البدن هناك, كان هذا دليلاً على أن الناس فيما مضى لم يكونوا يعرفون أن الرأس في شيء من هذه البقاع, ولكن الذي عرفوه واعتقدوه هو وجود البدن بكربلاء, حتى كانوا ينتابونه في زمن أحمد وغيره, حتى إن في مسائله, مسائل فيما يفعل عند قبره, ذكرها أبو بكر الخلال في جامعه الكبير في زيارة المشاهد.

ولم يذكر أحد من العلماء أنهم كانوا يرون موضع الرأس في شيء من هذه البقاع غير المدينة.

فعلم أن ذلك لو كان حقاً لكان المتقدمون به أعلم. ولو اعتقدوا ذلك لعملوا ما جرت عادتهم بعمله, ولأظهروا ذلك وتكلموا به, كما تكلموا في نظائره.

فلما لم يظهر عن المتقدمين –بقول ولا فعل- ما يدل على أن الرأس في هذه البقاع علم أن ذلك باطل, والله أعلم.

الوجه السابع: أن يقال: ما زال أهل العلم في كل وقت وزمان يذكرون في هذا المشهد القاهري المنسوب إلى الحسين: أنه كذب ومين, كما يذكرون ذلك في أمثاله من المشاهد المكذوبة؛ مثل المشاهد المنسوبة بدمشق إلى أبي بن كعب, وأويس القرني, أو هود, أو نوح, أو غيرهما, والمشهد المنسوب بحران إلى جابر بن عبد الله, وبالجزيرة إلى عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ونحوهما, وبالعراق إلى علي –رضي الله عنه- ونحوه, وكذلك ما يضاف إلى الأنبياء غير قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل –عليه السلام-.

فإنه لما كان كثير من المشاهد مكذوباً مختلقاً كان أهل العلم في كل وقت يعلمون أن ذلك كذب مختلق, والكتب والمصنفات المعروفة عن أهل العلم بذلك مملوءة من مثل هذا. يعرف ذلك من تتبعه وطلبه.

وما زال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات. ويذكرون ذلك في المصنفات, حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك.

فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية في كتابه ((العلم المشهور)) في هذا المشهد فصلاً مع ما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة, ومع

هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع, وبين أنه نقل من عسقلان في آخر الدول العبيدية, وأنه وضع لأغراض فاسدة, وأنه بعد ذلك بقليل أزال الله تلك الدولة وعاقبها بنقيض قصدها.

وما زال ذلك مشهوراً بين أهل العلم حتى أهل عصرنا, من ساكني الديار المصرية, القاهرة وما حولها.

فقد حدثني طائفة من الثقات: عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الغنوي, المعروف بابن دقيق العيد, وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي, وطائفة عن الشيخ أبي محمد القسطلاني, وطائفة عن الشيخ أبي عبد الله محمد القرطبي صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسنى, وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الديريني[4] –كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه, وحدثني عن بعضهم عدد كثير, كل يحدثني عمن حدثني من هؤلاء-: أنه كان ينكر أمر هذا المشهد, ويقول: إنه كذب, وإنه ليس فيه الحسين ولا غيره. والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إن فيه نصرانياً, بل القرطبي والقسطلاني ذكرا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما. وبينا فيها أنه كذب. كما ذكره أبو الخطاب بن دحية.

وابن دحية هو الذي بنى له الكامل دار الحديث الكاملية. وعنه أخذ أبو عمرو بن الصلاح ونحوه كثيراً مما أخذوه من ضبط الأسماء واللغات. وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه, بل هو الإجماع من هؤلاء. ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد عليه في مثل هذا الباب أعلم ولا أدق من هؤلاء ونحوهم.

فإذا كان كل هؤلاء متفقين على أن هذا كذب ومين, علم أن الله قد برأ منه الحسين.

وحدثني من حدثني من الثقات: أن من هؤلاء من كان يوصي أصحابه بألا يظهروا ذلك عنه خوفاً من شر العامة بهذه البلاد, لما فيهم من الظلم والفساد؛ إذ كانوا في الأصل دعاة للقرامطة الباطنيين. الذين استولوا عليها مائتي سنة. فزرعوا فيهم من أخلاق الزنادقة المنافقين, وأهل الجهل المبتدعين, وأهل الكذب الظالمين, ما لم يمكن أن ينقلع إلا بعد حين. فإنه قد فتحها –بإزالة ملك العبيديين- أهل الإيمان والسنة في الدولة النورية والصلاحية, وسكنها من أهل الإسلام والسنة من سكنها, وظهرت بها كلمة الإيمان والسنة نوعاً من الظهور, لكن كان النفاق والبدعة فيها كثيراً مستوراً ، وفي كل وقت يظهر الله فيها من الإيمان و السنة ما لم يكن مذكوراً ويخفي فيها من النفاق والجهل ما كان مشهوراً .

والله هو المسؤول أن يظهر بسائر البلاد ما يحبه ويرضاه, من الهدى والسداد. ويعظم على عباده الخير بظهور الإسلام والسنة, ويحقق ما وعد به في القرآن من علو كلمته وظهور أهل الإيمان.

.....

---

[4]()هو عبد العزيز بن أحمد بن سعيد المعروف بالدِّيريني, نسبة إلى ديرين بلدة من أعمال الغربية بالديار المصرية, كان عالماً صالحاً, سريع النظم, نظم: ((التنبيه)) و((الوجيز)) و((السيرة النبوية)) وله تفسير في مجلدين. مات سنة سبع وتسعين وستمائة. (طبقات الشافعية: 1/269).

وهذا كله كلام في بطلان دعوى وجود رأس الحسين –رضي الله عنه- في القاهرة أو عسقلان, وكذبه.

....

وإنما كان المقصود تحقيق مكان رأس الحسين –رضي الله عنه- وبيان أن الأمكنة المشهورة عند الناس بمصر والشام, أنها مشهد الحسين, وأن فيها رأسه, فهي كذب واختلاق, وإفك وبهتان, والله أعلم, وكتبه أحمد بن تيمية.

الحسين في التراث الشيعي

هذا فصل من كتاب" الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا شهيد الشيعة مقابل بطل السنة " تأليف : د. سلوى العمد وهو بحث أكاديمي لنيل درجة الماجستير من الجامعة **الأمريكية** ببيروت ، والمؤلفة أردنية ، كتبت هذا البحث لملاحظتها إعلانات نعي المقاومين السنة والشيعة في بيروت أن السني يصفونه بالشهيد البطل والشيعي بالشهيد المظلوم ، فبحثت الموضوع من زاوية أنثروبولوجية ، ولذلك توجد بعض الملاحظات على بحثها، ونشره لا يعنى الموافقة الكاملة عليه. الراصد

الحسين في كتابات الشيعة

كثيرة هي مؤلفات الشيعة حول الحسين، وهي واحدة من حيث الغاية وإن تعدَّدت وسائط التعبير أو الأسلوب فيها. فمضمون هذه المؤلفات هو أقرب ـ من حيث التوجه العام ـ إلى شعار ثورة دائمة في وجه السلطان الزمني الماثل في ظلم الإنسان بعيدا عن هداية الأئمة. على أنه من الممكن تصنيف الكمِّ الوافر من مؤلفات الشيعة حول هذا الموضوع في ثلاثة أصناف: الأول، ويغلب على روايته لتاريخ الحسين طابع الأسطورة. ويتميز هذا الصنف في ربطه التاريخ التاريخي للحسين، بأفكار شغلت الإنسان منذ بدء الخليقة حول نشأة الكون والحياة. وفي هذه الأفكار يلعب النور الإلهي دوراً هامَّاً، حيث يرمز النور فيها إلى وجود أزلي للحسين.

ويزخر هذا النوع من المؤلفات بأفكار يغلب عليها طابع الإيمان بعناصر البعث والآخرة والحساب، وهي أفكار غالبا ما ربطها هذا النوع من الكتابات بمأساة الحسين، ومصيره الشخصي وموقف الناس من ذلك، فمثلا، يرى هذا الصنف من المؤلفات أنَّ موقف الناس من الحسين وآل البيت والمصائب التي حلّت بهم، هو مقياس الثواب والعقاب في الآخرة. كذلك، احتوى هذا الصنف على أفكار أسطورية تركزت حول مراحل التحول الأساسية في حياة الحسين. ومرحلتا الولادة والموت هما أبرز هذه المراحل في الأسطورة. وفي هذا أيضا إشارة إلى البدء والمنتهى (نشأة الكون ومصير الإنسان فيه)، وهي إشارة تُخرج الحسين من الحدود التاريخية لولادته في العام الرابع للهجرة، والحدود التاريخية لاستشهاده في العام 61 هجرية، إلى وجود أزلي تخطى حدود التاريخ والأسطورة معاً.

وأبرز المؤلفات المعبرة عن الاتجاه المذكور، تلك التي ظهرت بين القرنين الرابع والسابع للهجرة،[5] وهذه هي الفترة التي يبدو أن شخصية الطائفة

---

[5]()من مؤلفات هذه الفترة: دلائل الإمامة لابن رستم الطبري (من علماء الإمامية في القرن الرابع للهجرة)، تحف العقول عن آل الرسول للحرّاني (من أعلام القرن الرابع أيضا) ، مقتل الحسين للخورزمي (المتوفى في العام 568 هجرية) ، مناقب آل أبي

الإمامية قد تبلورت فيها بشكل ناجز. وللمنحى الأسطوري في تفسير تاريخ الحسين ومصيره، امتداد في مؤلفات معاصرة.[6] أمّا الصنف الثاني من الأدبيات فله طابع طقسي كمجالس العزاء والمراثي (شعرا ونثرا). والمراثي هي النصوص التي تتلى في مجالس العزاء وقد كتبت بأسلوب ميلودرامي يستهدف استقطاب التعاطف الوجداني مع آلام آل البيت وينطوي على مضمون تعبوي لا يستهان به، خاصة فيما يتعلق بمقتل الحسين.[7] ويحرص هذا النوع من الكتابات الوجدانية على إظهار هول مأساة الحسين من خلال تعداد الفظائع التي حلَّت به وبصحبه وآل بيته. وتعلو وتيرة المضمون التعبوي للأدبيات الطقسية في الظروف السياسية الضاغطة، فهي ترمز إلى الانكسار السياسي، وإلى التمرد على هذا الانكسار. وهذا الصنف من الكتابات الشعبية موجه إلى عامة الشيعة ووظيفته تغذية الممارسات الطقوسية في ذكرى عاشوراء بعناصر التعاطف الوجداني مع آلام الشهيد.

تجدر الإشارة إلى أن أدب المراثي ومجالس العزاء حديث نسبيا من حيث النشأة التاريخية، فيما الممارسة الطقسية الشفوية للذكرى، ظهرت قبل ظهور الكتابات الأسطورية بعقود عدة على أقل تقدير، وقبل ظهور أدب المراثي والطقوس بقرون. ففي حين أن الطقوس ـ مثل تسيير مواكب الندب ـ بدأت تأخذ طريقها للوجود في منتصف القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، فإن الكتابات الأسطورية ظهرت بعد ذلك بفترة وجيزة وتكرست على نحو ناجز في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر ميلادية.

أما الصنف الثالث من المؤلفات الشيعية، فيبقى فيه الحسين شخصية تاريخية بالكامل، غير أن هذا الصنف يضفي على شهيد كربلاء هالة تسبغ عادة على الشخصيات الاستثنائية لدى عموم الجماعات الإنسانية. وكتابات هذا الصنف تشير إلى كل صغيرة وكبيرة وردت عن الحسين في كتب الحديث النبوي وكتب التاريخ الكلاسيكية. كما تتضمن الأقوال المنسوبة للأئمة عن الحسين والتي ترد في مؤلفات علماء الشيعة الأوائل.[8] ويمكن القول إن نسبة لا يستهان بها من كتابات الشيعة، قديمها وحديثها، يقع في هذا الصنف، المفعم بالمقولات الدينية ذات المضامين السياسية. وقد اتخذت هذه المقولات أشكالاً عدة منها ما تناول سيرة الحسين ومآثره وصفاته، التي تخرجه عن مصاف الناس العاديين وتدخله في عداد الأنبياء والأولياء، ومنها ما اقتصر على معركة كربلاء كقيمة ومعنى. وغالبية مؤلفات

طالب لابن شهر آشوب (المتوفى في العام 588 هجرية)، مثير الأحزان لابن نما الحلي (المتوفى في العام 645 هجرية)، تذكرة الخواص لسبط بن جوزي (المتوفى في العام 654 هجرية)، اللهوف في قتلى الطفوف، لابن طاووس (المتوفى في العام 664هجرية).

[6] ()منها على سبيل المثال: لواعج الأشجان، والمجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية, لمؤلفهما محسن الأمين، مقتل الحسين أو حديث كربلاء لعبد الرزاق المقرم، والخصائص الحسينية لجعفر التستري.

[7] ()من المراثي: المنتخب لفخر الدين الطريحي، الفوادح الحسينية والقوادح البينية، للشيخ حسين بن محمد بن أحمد الرازي.

[8] ()من ذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ذكرى الحسين بن علي، للإمام السيد عبد الكريم السيد علي خان، ومختصر نهضة الحسين لمؤلفه هبة الدين الحسيني.

هذا الصنف هي من الأدبيات الشيعية المعاصرة التي تتناول كربلاء باعتبارها ثورة على الظلم، وتعالج بالعرض والتحليل المعاني الدينية والسياسية لاستشهاد الحسين مستخلصة القيم التي مثلها قولا وعملا ومصيرا. وكتابات الشيخ محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، نموذج للمؤلفات التي تبتعد عن الطرح الأسطوري، وتقترب من لغة الثورة والشعار الثوري في مواجهة "الكسروية" و "الملك العضوض".[9] كما أن كتاب هذا الصنف هم من كبار علماء الطائفة ومن المثقفين والمتعلمين الشيعة، فضلا عن بعض المثقفين العرب المعاصرين (من غير الشيعة)، الذين يستلهمون حسَّ الثورة ضد قسر الحكام، من واقعة كربلاء.[10]

يهدف تصنيف أدبيات الشيعة الإماميين على النحو الوارد أعلاه إلى التعرف على الملامح الأساسية لأدبياتهم حول الحسين وشهادته، وللتمييز بين أسلوبين داخل الجماعة الواحدة، في طرح الأيديولوجيا الدينية ـ السياسية المعارضة، التي تنطوي عليها عقائد الإمامية. ويتضح البعد العقائدي أكثر ، عندما نتعرف على معاني الأسطورة المنسوجة حول الحسين وشهادته في كربلاء. ففي كتابات الشيعة عن الحسين، يصعب على القارئ ـ أحيانا ـ وضع خط فاصل بين ما هو أسطوري وما هو تاريخي. إذ كثيرا ما ترد العناصر الأسطورية مدمجة بالوقائع التاريخية. وبعض الخوارق عن الحسين ـ أو تلك المنسوبة إليه ـ يستند في مصداقيته إلى تأويل أحاديث نبوية وآيات قرآنية، فسرت على أنها وردت بشأن الحسين.[11]

تُرجع الموسوعة الإسلامية الأصل في أسطورة الحسين إلى غلاة فرق الشيعة.[12] وأيا يكن الأصل المرجح للأسطورة، فإنه ليس ثمة ما يمنع من وجود تداخل في الآراء والمعتقدات بين فرق الشيعة، المغالية منها والمعتدلة، ذلك لأن الجذر التراثي للتشيع واحد. وتداخل كهذا ممكن، حيث العديد من مؤلفات الشيعة الإماميين ـ وخاصة الأدبيات الشعبية ـ يزخر بالعناصر الأسطورية حول الحسين وشهادته. ويجوز أن يكون بعض كتاب الإماميين قد استفاد من مؤلفات الغلاة في المراحل الأولى من التشيع.

على أن عنصرين من عناصر أسطورة الحسين يغلبان على العقائد الإمامية المعاصرة، وهما: الاستذكار السنوي لعاشوراء في مجالس العزاء،

---

[9]() وهاتان عبارتان تردان في مؤلفات وخطب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، عن عاشوراء واستشهاد الحسين فيها. انظر على سبيل المثال إحدى خطبه بهذه المناسبة في صحيفة النهار اللبنانية (18 تشرين أول، 1983).

[10]()قصيدة الشاعر السوري نزار قباني وأخرى للشاعر المصري أمل دنقل. وثالثة للشاعر الفلسطيني، أحمد دحبور بعنوان: "العودة إلى كربلاء"، وللكاتب المصري عبد الرحمن الشرقاوي عمل مسرحي بعنوان: "الحسين ثائرا ، الحسين شهيدا" بيروت 1985، أنظر أيضا الحيدري (1999، ص 382ـ 90)، حيث يجمل الكاتب ما ورد لدينا أعلاه، وأعمال أخرى عديدة في الأدب والفن بميادينهما المختلفة في العالم العربي، فضلا عن حضور خاص لكربلاء في آداب العراق وفنونه.

[11]()من ذلك، الآية الكريمة: {وحملته أُمه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهرا}.
تفسر بعض المصادر الشعبية الشيعية هذه الآية على أنها نزلت بالحسين وأنَّها تنطبق على حاله دون البشر قاطبة (انظر: ابن رستم الطبري، 1369هـ ـ 1949م، ص 72).

[12]()EL 2ND edn., s,v. (AL_ HUSAYN b. Ali b. Abi TAILB).

والطابع الأيديولوجي ـ السياسي الذي يتسم به هذا الاستذكار في مضامين الخطب والأشعار المواكبة للذكرى. والأيديولوجيا والطقوس هما في الواقع وجهان لعقيدة واحدة متكاملة هي الأيديولوجيا السياسية ـ الدينية المعارضة، فشعار الثورة تغذيه الطقوس التي تسهم في تعبئة المشايعين وتأطيرهم، ومن ثم تعزيز التضامن الداخلي للطائفة.

الحسين في الأُسطورة

فيما يمكن القول إن كل طفل من الطائفة الشيعية في لبنان والعراق والبحرين وإيران وغيرها من البلدان الإسلامية ذات الكثافة الشيعية، قد رافق والده أو والدته إلى مجالس العزاء التي تقام في الذكرى السنوية لعاشوراء في العاشر من المحرم من كل عام، فإن جمهور السنة لا يعرف هذا اليوم إلاّ من زاوية أنه يوم مبارك في الإسلام كيوم المولد النبوي ويوم منتصف شعبان وليلة القدر في السابع والعشرين من رمضان وغيرها من الأيام التي يقوم المسلمون بإحياء ذكراها سنويا. وقد تكون للواقعة التالية دلالة على ما سيرد تاليا في هذا البند بشأن عاشوراء.

في أحد أيام ذكرى عاشوراء في الثمانينات، جمعتني جلسة أصدقاء في بيروت مع رجل شيعي وامرأة سنية. قالت السيدة موجهة كلامها للرجل: نحن أيضا نحتفل بعاشوراء، عندما كنت طفلة كان أهلي يصومون هذا اليوم ويقيمون الصلاة فيه ويصنعون الحلوى. فعلق الرجل الشيعي بتندّر: "أجل ولكنكم تصنعون الحلوى وتوزعونها في عاشوراء ونحن نلطم الخدود، فأنتم تفرحون حيث نحزن"!

ليوم عاشوراء بركة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وهو أمر لا يعرفه الكثيرون من عامة المسلمين، السنة والشيعة، إذ كانت القبائل ويهود يثرب يصومونه، وكانت قريش تصومه وتستر الكعبة فيه. "وذكر أن النبي محمداً كان يصومه في الجاهلية أيضا.ولما قدم إلى المدينة، كان يصومه، وأمر بصيامه. فلما فرض رمضان ترك عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه".[13] لذا يُرجَّحُ أن بركة عاشوراء كبركة الأشهر الحرم ـ وعاشوراء هو أحد أيام هذه الأشهر ـ استمرت بعد الإسلام كغيرها من التقاليد التي تم الحفاظ على مكانتها المباركة في الإسلام. غير أن مقتل الحسين في العاشر من المحرم ربط هذا اليوم في ذاكرة الشيعة والمسلمين عامة باستشهاده، فصارت كربلاء جذرا لعاشوراء، تلاشى أمامه الجذر التاريخي. ترى الأدبيات الشعبية للشيعة، أن مقتل الحسين في كربلاء، قديم لا حادث، وأن عاشوراء يوم مبارك لاقترانه منذ الأزل بمقتل الحسين في عاشر المحرم من العام 61للهجرة، لذا تكون شهادة الحسين تجسيدا لإرادة إلهية أزلية. يقول الخوارزمي في مقتل الحسين، إن الله قد خلق أفضل الأشياء والأحياء والأنبياء في يوم عاشوراء، وإن أهم الأحداث الربانية حصلت فيه، ومنها استواء الله على العرش، وأن النبي محمداً ولد في العاشر من المحرم، وأنه كان يصوم هذا اليوم التماسا لفضله.[14] هنا يربط المؤلف البعد

---

[13]() علي، 1950 ـ 1957، ج 8، ص 374.

[14]()الخوارزمي، جزءان في واحد، 1367هـ / 1948م، ج 2، ص 2.

التاريخي لمعركة كربلاء بالزمن الميثولوجي لعاشوراء، أي أنه أحال الواقعة التاريخية إلى جذر ميثولوجي له دلالة دينية تملك قوى روحية خارقة وتتمتع بحيوية وديمومة تتجاوزان زمان ومكان وقوع كربلاء.
ومن العناصر الأسطورية حول عاشوراء، تلك التي تذكر الفرق بالأيام والأشهر بين ولادة الحسن والحمل بالحسين وولادته. ففي إحدى الروايات أن فرق الأيام بين ولادة الحسن والحمل بالحسين كان عشرة أيام. وفي رواية أخرى أن الفرق بين ولادتهما كان عشرة أشهر وعشرون يوما.وفي رواية ثالثة ـ نقلا عن الإمام الصادق ـ أنه كان ستة أشهر وعشرة أيام. وفي رواية رابعة كان الفرق سنة وعشرة شهور.[15] والقاسم المشترك في هذه الروايات الأربع، التي وردت في مصدر واحد بأسانيد مختلفة، هو تكرار الرقم عشرة فيها. ولا تفسير لتأول الرواة الشيعة هذا الرقم سوى العاشر من المحرم، الذي وقع فيه استشهاد الحسين.

ولا غرابه في الأمر، فغالبا ما تميل الذاكرة الشعبية في التراث الإنساني عامة لإقران رقم معين بحياة إنسان استثنائي في شخصه أو مصيره، على أنه إحدى الخوارق المتعلقة بفرادة ذلك الإنسان في التاريخ. وفيما يتعلق بالحسين، فإن الجذر التاريخي لاقتران الرقم عشرة به في ذاكرة الناس، توفر بواقعة استشهاده في العاشر من المحرم. فلقد كان هذا الحدث جذرا لكل ما كتب عن الحسين في التاريخ والأسطورة والأيديولوجيا على حد سواء.

وأما العناصر الأسطورية الأخرى، فقد استمدتها الكتابات الشعبية الشيعية من قصص دينية وردت في العهد القديم والقرآن الكريم. ويلحظ المتفحص لعناصر الأسطورة أن ما استمد من العهد القديم ورد كذلك في القرآن. بذا يصح القول بأن مجمل عناصر أسطورة الحسين مستلهم من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تم تأويلها بما يتوافق ومرجعيتها الأسطورية. فمثلا، هناك حيز كبير في وقائع الأسطورة للنور والجن والملائكة وجبريل (ناقل الوحي للنبي)، وهذه جميعا عناصر مذكورة في القرآن والأحاديث النبوية. كما لم ينف الإسلام تماما كل ما جاءت به أديان الكتب السماوية السابقة (اليهودية والمسيحية) من قصص وأساطير حول الأنبياء الأولين كإبراهيم وإسحق وموسى ويعقوب وعيسى بن مريم، بل الإسلام أكد على العديد منها. وتحضر قصص الأنبياء الأولين في أسطورة الحسين تأكيداً على أزلية انتمائه للنبوة.

وللخوارق المنسوجة حول الحسين محاور ثلاثة: خوارق يعتقد بوقوعها قبل ولادته (كالقول بأزلية وجود الحسين على شكل عمود من نور)، وأخرى اقترنت بولادته، وثالثة ارتبطت باستشهاده. وهي بالإجمال نوعان: بعضها يُشير إلى تفرد الحسين في الفضل بين بني البشر قاطبة، والبعض الآخر نسب إليه، كالقدرة على الإشفاء أو الشفاعة للخلق يوم القيامة، إلى غير ذلك مما ينسب من كرامات للأنبياء والأولياء.

يبدأ تاريخ الحسين في القصص المسطورة عنه، من نقطة يصعب تحديدها. فهو فيها أصل النبوة لا سليلها، وهو أزلي الحضور تجلى على هيئة نور انتقل

---

[15]() البهادلي، 1385هـ / 1965م، ـ ص 174.

في أصلاب الأنبياء منذ آدم وصولا إلى النبي محمد. ففي دلائل الإمامة لابن رستم الطبري، أن الله خلق الخمسة الأول من آل البيت (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين)، قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام. وأنهم ـ أي الخمسة ـ "كانوا قدّام العرش الإلهي على شكل عمود من نور قُذف في صلب آدم، ثم أُخرج إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، إلى أن صُيِّرَ في صلب عبد المطلب، فشقه الله نصفين: نصف في عبد الله والنصف الآخر في أبي طالب، ثم أخرج النصف الذي للنبي إلى آمنة بنت وهب (أم النبي)، والنصف الآخر إلى فاطمة بنت أسد (أم علي)، فأخرجت آمنة محمدا، وأخرجت بنت أسد عليّا.ثم أعيد النور كله إلى النبي، فخرجت فاطمة الزهراء، ثم أعيد إلى علي، فخرج الحسن والحسين من النصفين مجتمعين، فما كان من علي صار في ولد الحسن، وما كان من النبي صار في ولد الحسين، وهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيامة".[16]

وفي رواية ثانية، أن نور الإمام الحسين كان يظهر على جبين الأمهات عند الحمل بأحد أجداد النبي، وأن النور انتقل إلى جبين آمنة بنت وهب عند حملها بالنبي، وأن فاطمة الزهراء حين حملت بالحسين، قال لها النبي: "إني أرى في مقدم وجهك ضوءاً، وستلدين حجة لهذا الخلق".[17] وتضيف الرواية عينها، أن النور لم يظهر على جبين فاطمة حين حملت بابنها الأكبر، الحسن، لكنها حين حملت بالحسين، لم تكن تحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح.

في فكرة النور الحسيني ملامسة واضحة لفكرة الإنسان الأول الذي كان في البدء على هيئة نور وأدَّى وظيفة كونية ـ طبقا لأسطورة آرية قديمة ـ وذلك قبل ظهور البعد الديني أو الخلاصي (من فكرة الخلاص الديني) لهذا الإنسان مع مجيء العصر الهيليني.[18] وتلامس هذه الفكرة أيضا، عناصر دينية حادثة زمنيا، بالقياس إلى فكرة الإنسان الأول ذي الوظيفة الكونية. وتبدو هذه العناصر في مسألتي الخلق والبعث ومصير الإنسان فيهما كما تطرحها أسطورة الحسين. فهذه الأسطورة تجد حلاًّ لمعضلة الإنسان إزاء المطلق الكامن فيه، من خلال صيغة توفيقية جعلت من الحسين كائنا نصف إلهي ـ نصف بشري. ولهذا الأمر مغزاه الهام في معرض تحليل فكرة الشهيد في عقائد الشيعة الإماميين، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الشهيد في عقائدهم هو من اجتمعت فيه صفتا الثائر والولي. والأسطورة حول ولادة الحسين واستشهاده، تعزز هذه الفكرة وترجح انتصار الإلهي في الإنسان من خلال قدر الشهادة.

أمّا الخوارق المقترنة بولادة الحسين وطفولته، فمنها أن الحسين قد سقط ساجدا لله لحظة ولادته،[19] وأن جبريل هبط مع ألف ملك من السماء لتهنئة النبي بميلاد الحسين،[20] ونقل له التهاني الإلهية بهذا الحدث.[21] وثمة خوارق تتصل برضاعة الحسين، منها أن الله قد جعل للحسين في إبهام النبي غذاء يغتذي به لمدة أربعين يوما عندما لم تتمكن فاطمة من إرضاعه لعلة ألمت

---

[16] ()ابن رستم الطبري، 1369هـ ـ 1949م، ص 59 ـ 60.
[17] ()التستري، 1375هـ ـ 1956م، ج 3، ص 15.
[18] ()نصوص ألف بينها وحققها عبد الرحمن بدوي (1950، ص 14ـ 15)
[19] ()التستري، 1375هـ/ 1956م، ج 3، ص 19.
[20] ()الحلي، 1369هـ/ 1950م، ص 7، ابن طاووس، 1369هـ/ 1950م، ص 6.
[21] ()ابن شهر آشوب، 1375هـ/ 1956م، ج 3، ص 209.

بها.[22] وعن طفولة الحسين، أن جبريل نزل يوما وكانت فاطمة نائمة فيما الحسين قلق على عادة الأطفال في الليل، فقعد جبريل يلهيه إلى أن استيقظت فاطمة، فأعلمها النبي بما كان.[23] وفي رواية أخرى أن النبي حمل الحسين على كتفه اليمنى والحسن على اليسرى. فنزل جبريل فأخذ الحسين وحمله، فكانا (أي الحسن والحسين) يفتخران، فيقول الحسن حملني خير أهل الأرض، ويقول الحسين، حملني خير أهل السماء.[24]
وأما الكرامات المنسوبة للحسين فكثيرة، منها ما يتحدث عن قدرته منذ الطفولة على الإشفاء والشفاعة، كقصة ملك يدعى فطرس، كان الله قد أنزل به عقابا لمخالفة أتى بها، وأنَّ فطرس هذا طلب من جبريل أن يأذن له بمرافقته لتهنئة النبي بولادة الحسين، لعل الطفل الوليد يشفع له فتعود إليه سلامة جناحيه، وأنه (أي الملك فطرس) كان له ما تمنى عندما استعلم النبي عن حاله، فطلب منه النبي مسح جناحيه بالحسين، فإذا به قد عاد لحاله الطبيعي، "وأصبح من ذلك الحين يعرف بعتيق الحسين، وقد أمره الله أن يلزم أرض كربلاء فيخبر بكل مؤمن زار قبر الحسين إلى يوم القيامة".[25]
ومما يروى أن امرأة أصابها حرق على الجبين من كثرة السجود، وكانت زوارة للحسين، فاحتبست بعد ذلك، وعندما علم الحسين بأمرها ذهب إليها ونفث على الحرق فلم يعد له أثر، ثم قال: "نحن وشيعتنا على الفطرة وسائر الناس منها براء".[26]
ومن صفات الحسين، في وقائع الأسطورة، أنه كان "{...} جيد البدن حسن القامة جميل الوجه، وصبيح المنظر نور جماله يغشى الأبصار وله مهابة عظيمة ويشرق منه النور بلحية مدورة قد خالطها الشيب، أدعج العينين، أزج الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الأنف، كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره كأن الذهب يجري في تراقيه، وإذا تكلم رأى (الناس) النور يخرج من ثناياه، ولم يكن يمر في طريق فتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه لطيب رائحته". وفي إشارة لمهابته: "{...} أن الحسن كان يعظم أخيه (كذا في الأصل، والصحيح أخاه) الحسين، كأنه أسن منه"، [27] في حين تشير المصادر التاريخية إلى أن الحسن كان ناصحا لأبيه وموجَّها لأخيه الحسين في أكثر من موقف وأن الحسين التزم موقف أخيه الأكبر في موادعته معاوية.

أما الخوارق حول شهادة الحسين فكثيرة. ويمكن تصنيفها، استنادا للأدبيات المتوفرة، في أربعة أنواع: أحدها يتحدث عن إخبار الأنبياء السابقين بمقتل الحسين، والثاني يذكر أنَّ جبريل والملائكة أخبروا النبي بمقتله بعد مرور سنة على ولادته. والثالث يروي وقوع خوارق وبطولات أثناء المعركة نُسبت للحسين وهناك الخوارق التي اعتقد بحصولها بعد مقتله في كربلاء.

---

[22]()المصدر نفسه.
[23]()المصدر نفسه، ص 229.
[24]()الحلي، 1369هـ / 1950م، ص 11ـ 12.
[25]()ابن رستم الطبري، 1369هـ ـ 1949م، ص 79، ابن شهر آشوب، ج 3، ص 299.
[26]()ابن رستم الطبري، 1369هـ ـ 1949م، ص 77.
[27]()البهادلي، 1385هـ / 1965م، ص 180ـ 181.

يتكرر الحديث في الأسطورة عن إخبار أنبياء سابقين بمقتل الحسين على أرض تدعى كربلاء، وفيها أنَّ آدم وموسى بكيا الحسين، وأن عيسى بن مريم لعن قاتله.[28] ومن ذلك أيضا أن جبريل لقَّن آدم أسماء آل البيت الخمسة (النبي، فاطمة، علي والحسن والحسين)، وأنه ـ آي آدم ـ عندما أراد ذكر اسم الحسين "{...} سالت دموعه وانخشع قلبه فقال: أخي جبريل مالي إذا ذكرت الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي فقال جبريل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب قال يُقتل عطشانا (كذا في الأصل)[29] غريبا وحيدا ولو تراه يا آدم وهو ينادي واعطشاه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فبكى آدم". وفي رواية إن النبي إبراهيم، "{...} مرَّ بكربلاء وهو راكب فرسه فعثرت به الفرس فسقط على الأرض وُشجَّ رأسه وسال دمه فأخذ يكثر من الاستغفار وقال إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل جبريل وقال يا إبراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يُقتل سبط النبيِّين فسال دمك وموافقة لدمه فبكى إبراهيم".[30]

والخوارق عن إخبار النبي محمد بمقتل الحسين عديدة. يقول ابن طاووس إنه بعد مرور سنة كاملة عن مولد الحسين، "هبط على النبي اثنى عشر (كذا في الأصل)[31] ملكاً أحدهم على صورة الأسد والثاني على صورة الثور والثالث على صورة التنّين والرابع على صورة ولد آدم والثمانية الباقون على صور شتّى محمرة وجوههم باكية عيونهم قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون يا محمد صلى الله عليه وسلم سينزل بولدك الحسين عليه السلام ابن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل وسيعطى مثل أجر هابيل ويُحمل على قاتله مثل وزر قابيل". وفي المصدر ذاته، أن النبي، بعد مرور سنتين على مولد الحسين، عرج في سفر فوقف في الطريق واسترجع فدمعت عيناه فسئل عن ذلك، فقال: "هذا جبرائيل عليه السلام يخبرني عن أرض بشطِّ الفرات يقال لها كربلاء يقتل عليها ولدي الحسين بن فاطمة{...}".[32]

والخوراق حول معركة كربلاء عديدة، منها ما تمحور حول الشهادة كقدر إلهي كتب على الحسين منذ الأزل. ولهذا يبدو الحسين في الوقائع الأسطورية للمعركة، منفذاً لمشيئة إلهية. فبعض المصادر يروي أنَّ الحسين كان على علم بمقتله، وأنَّ قدر الشهادة تجلَّى له في منامات رأى أحدها فيما كان ذاهبا لوداع قبر جدِّه النبي قبيل رحيله إلى الكوفة، إذ جاءه النبي في المنام قائلا: "{...} كأني أراك عن قريب مرملا بدمائك، مذبوحا بأرض كربلاء، بين عصابة من أُمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة{...}".[33]

---

[28]()المقرّم، 1376هـ / 1956م، ص 17.

[29]()والصحيح عطشان، لأنها ممنوعة من الصرف لا تنون وهي على وزن فعلان ومؤنثها فعلي.

[30]()الهاشمي 1386هـ/ 1966م، ص 15.

[31]()والصحيح اثنا عشر، ملحق بالمثنى يرفع بالألف، وأما الجزء الثاني من الرقم فمبني على الفتح.

[32]()ابن طاووس، 1369هـ/ 1950م، ص 15.

[33]()الخوارزمي، جزءان في واحد، 1367هـ / 1948م، ص 187 ـ 188، وابن شهر آشوب، 1375هـ/ 1956م، ج 3، ص 240، ومنامات أخرى ذكر بأنه رآها وهو في الطريق إلى الكوفة (ابن الجوزي، 1383هـ/ 1964م، ص 253).

يقول المقرَّم، إن الحسين كان مسيرا بقدره إلى كربلاء، لأن الشهادة كتبت عليه قبل أن يولد، وأما استغاثاته يوم المعركة، "فلم تكن إلاّ من قبيل الحجةَّ على هذا الخلق".[34] وفي رواية لابن طاووس، نقلا عن الشيخ المفيد، وبالإسناد للإمام السادس، الصادق، أن أفواجا من الملائكة لاقت الحسين، فيما كان في طريقه إلى الكوفة، وقالت له: "{...} يا حجة الله على خلقه بعد جدِّه وأبيه وأخيه إن الله عز وجلَّ أمدَّ جدَّك رسول الله صلى الله عليه وآله بنا في مواطن كثيرة وإنَّ الله أمدَّك بنا، فقال: "الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء{...}".[35] وتذكر الرواية عينها أن أفواجا من مؤمني الجن أرادت هي الآخرى الانتصار للحسين، فأبى قائلا: "من ذا يكون ساكن حفرتي وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحا الأرض وجعلها معقلا لشيعتنا ومحبينا{...}".

وأما الخوارق حول شجاعة الحسين فعديدة كذلك، بعضها يبرز الشجاعة الخارقة للمألوف التي أبداها الحسين، من خلال إظهار الفارق الكبير في العدد والعدَّة بين الفريقين، فأصحاب الحسين لم يتجاوزوا العشرات (كما ورد في كتب التاريخ الكلاسيكية)، غير أن وقائع الأسطورة تبالغ في عدد القوات التي حاربت الحسين وصحبه، فمصادر الشيعة تذكر ـ نقلا عن الإمام الصادق في أغلب الأحيان[36] ـ أن جند الكوفة كانوا ثلاثين ألفا، وفي رواية أخرى مائة ألف، أمّا الروايات التاريخية فتجمع على أنَّهم كانوا خمسة آلاف، بمن فيهم الألف فارس الذين كانوا تحت إمرة الحرّ بن يزيد الرياحي، الذي انضم بصفة فردية للحسين قبيل بدء المعركة.

تقول إحدى الروايات في ذكرها لبطولات الحسين في مواجهته مع الخصم بعد مقتل أصحابه، إن الحسين بعد ذلك، "{...} دعا جند الكوفة للمبارزة فلم يزل يقتل من برز إليه منهم حتى قُتل {...}"،[37] وإنه ظلّ "{...} يقاتل حتى قتل ألفا وتسعماية وخمسين رجلاً، وأن مائة وثمانين وأربعة آلاف من جند الكوفة حملوا على الحسين بالطعن بعد ذلك، فأصابوه بـ "{...} ثلاثماية وبضع وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم"،[38] فيما تذكر كتب التاريخ أن الحسين قد أُصيب بثلاث وثلاثين طعنة وأربع وثلاثين ضربة.[39]

ومن الخوارق ما ذكر بأنه اعترى الكائنات إثر مقتل الحسين، كالقول بأن غبرة شديدة سوداء ارتفعت في السماء يوم مقتله حتّى ظن الناس أن العذاب قد أتاهم.[40] وعن زرارة بن أعين عن الإمام الصادق أنه قال: "بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي أربعين صباحا ولم تبك

---

[34] ()المقرّم، 1376هـ / 1956م، ص 45.

[35] ()ابن طاووس، 1369هـ/ 1950م، ص 28ـ 29. ووردت في مصادر أخرى نقلا عن هذا المصدر.

[36] ()ابن الجوزي، 1383هـ/ 1964م، ص 246.

[37] ()المصدر نفسه، وأيضا: علي خان، 1402هـ/ 1982م، ص 62، البهادلي، 1385هـ/ 1965م،ص 407.

[38] ()وابن شهر آشوب، 1375هـ/ 1956م، ج 3، ص 258. وغالبا ما ترد الخوراق عن شجاعة الحسين إما نقلا عن أحد أئمة الشيعة أو عن الثقات من كتاب الشيعة الكلاسيكيين.

[39] ()تاريخ الطبري، ط 1960 ـ 1969، ج 5، ص 453.

[40] ()ابن طاووس، 1369هـ/ 1950م، ص 55.

إلاَّ عليهما، قلت: فما بكاؤها؟ قال. كانت الشمس تطلع حمراء وتغيب حمراء".[41] وقيل إن السماء أمطرت دما يوم مقتل الحسين، وإن أثر الدم بقي عالقا في ثياب الناس،[42] وإنه ما رفع حجر في الشام، وقيل في الدينا، إلا ووجد تحته دم عبيط، وقيل إنه ما رفعت في ذلك اليوم حصاة في بيت المقدس إلاّ ووجد تحتها دم عبيط،[43] وإن الناس مكثوا شهرين أو ثلاثة يرون الحيطان وكأنما لطخت بالدم مع مطلع الشمس كلّ يوم وحتّى ارتفاعها في السماء.[44]

وبعض الروايات تتحدث عن خوارق صدرت عن جسد الحسين وعن رأسه المقطوع. ففي رواية أن جسد الحسين قد رفع يوم مقتله إلى السماء الخامسة، ثم أعيد إلى أرض كربلا,[45] وأن رأسه قد نطق بآيات قرآنية، وأنه سمع يتلو سورة الكهف.[46] يقول المقرم: "والكلام من رأس مقطوع أبلغ في تمام الحجة"[47]. ومن الخوارق ما ذكر بأنه اعترى الكائنات الحية على مختلف أنواعها، كالقول بأن الوحوش في البراري بكت الحسين.[48] ومن ذلك ما ذكره الخوارزمي، نقلا عن رواة عن رجل أنه قال: "كنت أفت الحب للعصافير كل يوم فكانت تأكل، فلما كان يوم عاشوراء فتت لها فلم تأكل فعلمت أنها امتنعت لقتل الحسين بن علي عليه السلام"[49] وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي، أن الجند عندما أرادوا أكل لحوم الإبل التي حُمل عليها رأس الحسين وجدوه أمر من الصبر فلم يتمكنوا من أكله".[50] وتتحدث إحدى الروايات عن احتجاج الملائكة لدى العرش الإلهي على مقتل الحسين. ويذكر ابن طاووس هذه الحكاية على النحو الآتي: "{...} لما كان من أمر الحسين (ع)ما كان، ضجت الملائكة إلى الله بالبكاء وقالت يا رب هذا الحسين (ع) صفيك وابن بنت نبيك، قال فأقام الله ظل القائم (ع) وقال: بهذا أنتقم لهذا".[51]

يحتل الانتقام الإلهي من قتلة الحسين حيزا لاُ يستهان به من وقائع الأسطورة. ففيها أن الله انتقم من قتلة الحسين ومن الساكتين على قتله.[52] عندما سلط عليهم "عَلام ثقيف" ـ وهو لقب يشار به للمختار بن أبي عبيد الثقفي الذي تتبع قتلة الحسين واحدا واحدا وقتلهم. والعديد من مصادر الأسطورة يعتبر حركة المختار جزءا من الانتقام الإلهي لقتل الحسين. كما شملت الأسطورة أرض كربلاء ذاتها، فأشير إلى أن كربلاء كانت منذ القدم مزارا للأنبياء، وموطنا لأحزانهم، وأنه ليس من سر لذلك سوى استشهاد الحسين فيها.[53]

---

[41]()ابن شهر آشوب، 1375هـ/ 1956م، ح 3، 212.
[42]()ابن الجوزي، 1383هـ/ 1964م، ص 274.
[43]()الحلي، 1369هـ / 1950م، ص 63، الأمين، لا.ت.ج 5، ص 144.
[44]()البهادلي، 1385هـ/ 1965م ص 417.
[45]()التستري، 1375هـ ـ 1956م، ص 19.
[46]()ابن شهر آشوب، 1375هـ/ 1956م، ص 217.
[47]()المقرّم، 1376هـ / 1956م، ص 401.
[48]()الحلي، 1369هـ / 1950م، ص 13.
[49]()الخوارزمي 1367هـ / 1948م، ص 91.
[50]()ابن الجوزي، 1383هـ/ 1964م، ص 267.
[51]()ابن طاووس، 1369هـ/ 1950م، ص 55.
[52]()المصدر نفسه، ص 59 ـ 61.
[53]()العاملي، 1389هـ/ 1969م، ص 9ـ 10.

لم تقتصر أسطورة الحسين عليه وعلى الأنبياء الأولين، كما هو ملحوظ، بل امتدت لتشمل آل بيته، بدءاً بجده النبي (هنا بوصفه جدَّ الحسين وخاتم النبوة) وفاطمة الزهراء (أمه) والإمام علي (أبيه)، والإمام الحسن (أخيه الأكبر)، ثم انتهاء بالحسين. على أنها لا تتوقف عند الحسين، بل هي تمتد لتشمل التسعة الباقين من الأئمة والذين تحصرهم عقائد الإماميين في نسل الحسين ـ دون الحسن، كما سبقت الإشارة (انظر تاليا، سلسلة الأئمة الإثنى عشر كما يرد تسلسلهم عند الشيعة الإمامية).

واتساع الأسطورة لتشمل الأئمة من نسل الحسين، جاء لينسجم مع مقولة إمامة النص عند هذه الطائفة. ففي إمامة النص أن الأئمة من نسل الحسين هم وسطاء الرعاية الإلهية على الأرض، التي ترى عقائد الإماميين استحالة خلوها من حجة عليها، والأئمة هم هذه الحجة. بل إن آخرهم، أي الإمام الثاني عشر، محمد بن الحسن، هو هذه الحجة. وفي الأسطورة أيضاً، أن عودة الإمام الثاني عشر بعد غيبة، هو "الانتقام الإلهي" لمقتل الحسين.[54]

غير أن اتساع الأسطورة لم يأت على حساب محورية شخص الحسين فيها، بل جاء ليؤكد هذه المحورية في جانبين: الأول، حضور الحسين كمقولة أيديولوجية في الصياغة العامة لوجهة النظر الكونية للشيعة الإمامية. والثاني، هو البعد الديني ـ السياسي الذي ترمز له شهادة الحسين في عقائد هذه الطائفة. هذا البعد، الذي ينطوي على معارضة ضمنية لأهل الحكم، تم التعبير عنها ميثولوجياً بأسطورة الإمام الشهيد، وأيديولوجياً بشعار الثورة، واتحاد أسطورة الشهيد بشعار الثورة، يحقق التكامل الوظيفي للأسطورة والشعار في أوساط المشايعين. فشهادة الإمام، تستتبع مناهضة الحاكمين من جانب الأشياع، تعبيرا عن الاستجابة للرعاية الإلهية على الأرض، والتي ترى عقائد الإماميين أنها لا تتواصل إلا بعودة الإمام الغائب، الذي "سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا وظلما".

وهكذا، فإن اختفاء الإمام ليس نهاية المطاف، بل إن غيبته لفترة ـ تطول أو تقصر ـ هو ما يعطي للمؤمنين مبرر الانسحاب من العملية السياسية الزمانية (إبان غيبته) أو الثورة (عندما تلوح في الأفق عودته). هذا التأرجح بين الموقفين هو ما يفسره بعض الدارسين للعقائد الإمامية بثنائية الثورة والتقية.[55] التي يرون أن عقائد هذه الطائفة تميزت بها. غير أننا لا نرى في ذلك سمة خاصة بعقائد الشيعة، ونرجح أن اقتران التقية بالممارسة السياسية للشيعة لفترات طويلة، جعلها تبدو كأنها سمة خاصة بعقائدهم، خاصة وأن الإماميين دعوا للتقية في ظروف الاضطهاد. غير أن بعض أهل السنة كذلك، مارسوا التقية في ظروف الاضطهاد أو الخوف من وقوعه.[56]

كما أن كل معارضة، دينية كانت، أم سياسية أم عرقية، تلجأ للتقية عندما يكون الخطر محدقا بوجودها. وما وجود تنظيمات سرية في مختلف المجتمعات الإنسانية، وأخرى شبه سياسية (parapolitical) تعبر عن نفسها

---

[54] ()ابن طاووس، 1369هـ/ 1950م، ص 55.

[55] ()hegland, in keddie, ed. (1983):219- 35, khuri, 1990: 123_ 30

[56] ()يذكر الشاطبي في كتاب الاعتصام (الجزء الأول، ط 1416هـ / 1996م، ص 104ـ 107) عن ابن العربي، أنه اضطر إلى اتقاء أذى المخالفين له في الرأي ممن خالفوا أهل السنة في مسألتي الإمامة وعودة الإمام.

في أطر علنية إلا مؤشر على أن التقية سمة من سمات السلوك الإنساني للجماعات كافة، بغض النظر عن الخلفية السياسية أو الدينية أو العرقية لهذه الجماعات.

حيوية المعنى في شعائر عاشوراء

تبدأ ذكرى عاشوراء في الأول من المحرم من كل عام حتى العاشر منه. وقد تستمر أربعين يوما هي فترة الحداد في التقليد العربي ـ الإسلامي المتبع. غير أن الأيام العشرة الأول من المحرم هي ذروة الذكرى، لأنها رحلة الحسين إلى كربلاء (وصوله إليها مطلع الشهر وحتى مقتله في العاشر منه). وتشتمل الذكرى على أداء شعائر عدة ضمن ما يعرف بالمأتم أو التعزية. وهذه الشعائر هي مجالس العزاء والمواكب الشعبية، ومنها مواكب الضرب على الظهور بـ "الجنازيل".[57] وتصل الشعائر إلى ذروتها عند تشبيه[58] مقتل الحسين في العاشر من المحرم، ثم تختتم بعد ذلك بموكب كبير.

تجدر الإشارة إلى أن الشكل الشائع لعاشوراء على النحو المعروف لنا في الوقت الحاضر (أي رواية سيرة الحسين في محافل شعبية) تعود جذوره ـ على الأرجح ـ إلى القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، عندما اعتلى الصفويون سدَّة الحكم في إيران، واتخذوا من التشيع عقيدة رسمية لدولتهم، بتشجيع من علماء شيعة كانوا قد هاجروا إلى إيران من جبل عامل في لبنان، وكانت إيران قبل ذلك التاريخ ذات أغلبية سنية.

وقد أضاف الإيرانيون للذكرى شيئا من تراثهم الفولكلوري، وطبعوا شعائر العزاء الحسيني بطابعهم القومي، وكان لهم دور في انتقالها إلى الهند وأذربيجان التركية والأناضول وبعض مناطق سيبيريا. ومع الوقت، تطورت هذه الشعائر بنوعيها المعروفين لنا في الوقت الحاضر،أي رواية سيرة الشهيد (ممسرحة enacted في تجمعات شعبية حافلة) تليها المواكب، التي بدأت كتقليد متبع في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد وكانت حصيلة الدمج بين هذين النمطين في إيران إبان القرن الثامن عشر، ولادة ما يعرف في هذا البلد بمسرح التعزية ta,ziyah thaentre [59]. ومما عزز من طقسية عاشوراء في إيران، قيام بعض الرسميين الإيرانيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ببناء التكايا الفخمة، التي تميزت بالفن المعماري

---

[57]()وهذه الكلمة تحريف شعبي لكلمة جنازير الفارسية الأصل, وتقابلها بالعربية كلمة سلاسل.

[58]()في مسرح التعزية في إيران يصطلح تمثيل مقاتل الشهداء بـ "الشبيه". وهذه التسمية أكثر دقة من كلمة تمثيل، فتصوير مقابل آل البيت، هو أقرب إلى تشبيه مقتل الشهيد لا إلى تمثيل دوره. ولمسرح التعزية في إيران خصائص لاحظها المستشرقان شيلكوفسكي وفيرث (wirth in chelkowski, 1988: 13-23, chelkowski,1979) في دراساتهما لوقائع التعزية، منها، ملاحظتهما بأن ما يسمى حوارا في مسرح التعزية الإيراني هو أقرب إلى المنولوج منه إلى الحوار. وأرى أن هذه الملاحظة وغيرها مما ذكره هذان المستشرقان، يستحق اهتمام الدارسين العرب والمسلمين المتخصصين بمسرح التعزية وعموم المسرح الشرقي، فلهذا المسرح خصائصة التي يرى الباحثان ضرورة اجتراح مصطلحات خاصة بها، وتجنب استعارة مصطلحات المسرح الغربي الذي يختلف من حيث الشكل والمضمون.

[59]()chelkowski, 1988: 13-23

ولوحات فنية تحكي قصة عاشوراء. ومع مرور الزمن، تحولت اللوحات المشخصة لآلام الإمام الشهيد، إلى أيقونات تشبه ـ من حيث الدلالة والمعنى ـ الأيقونات الكنسية في المسيحية. وهذا ما أسهم في ترسيخ عاشوراء ـ ببعدها الشعائري المكثف ـ سمة قومية للإسلام في إيران، في حين ظلت الذكرى في البلاد العربية، تقتصر على المناطق ذات الكثافة الشيعية، دون أن تأخذ صبغة قومية جامعة. غير أن لكربلاء في العالم العربي، معنى الدراما الاجتماعية ـ السياسية. إذ ارتبطت قصة الحسين ضميريا ـ دون بعدها الاحتفالي ـ بلغة الاحتجاج لدى المثقفين العرب.[60] وهذا ما يشير إلى أن المعنى الماثل في قتل ابن بنت النبي والقتل الجماعي ظلما لفئة من المسلمين، حمل دلالات تجاوزت حدود الطائفة، وغدت عند الشيعة والسنة، رمزاً للاحتجاج ضد شطط الحكام في استعمال السلطة. تعقد غالبية المآتم (مجالس العزاء) في الحسينيات، وهي نواد أسست خصيصا لإقامة المأتم الحسيني، ولهذا سميت بالحسينيات ومفردها حسينية. وتعقد بعض المآتم في الجوامع وفي منازل أسياد (يعتقد بانتسابهم لآل البيت) وهناك مآتم تعقد في بيوت وجهاء الطائفة، كما هو الحال في لبنان (انظر تاليا). وتتلى في المآتم سيرة مقتل الحسين ويقرأ الشعر في رثاء الشهيد وآل بيته وصحبه. ومع تلاوة السيرة الحسينية، يبكي قارئ السيرة وهو يتلو فصولا من مأساة آل البيت، أو يقرأ قصيدة[61] في رثاء شهدائهم بصوت شجي، فيبكي معه الحضور وهم يطلقون آهات التأسي التي تعبر عن التعاطف الوجداني مع الشهداء. وقارئ السيرة هو الذي يلقي قصائد الشعر، وهو الذي يبدأ الضرب على صدره بإيقاع منتظم. ويمزج بعض القراء في قراءاته بين العامية والفصحى. ويستطيع السامع معرفة البلد الذي تلقى فيه القارئ علومه الدينية من خلال لكنته التي غالبا ما تكون إما عراقية أو إيرانية. وهناك تفاوت بين القراءات فبعضها مؤثر يتلى بصوت شجي، والبعض الآخر يتسم بالرتابة.

تأخذ الذكرى بعداً ميلودراميا في مواكب الضرب على الصدور وجلد الظهور بالجنازيل. وتفسر هذه المواكب على أنها إشارة للندم والتوبة لتخلي شيعة الحسين الأوائل عنه في الكوفة، مما أدى لقتله. وتجوب المواكب الشوارع لتنتهي إلى تجمع كبير في إحدى الحسينيات، ثم تبلغ الممارسات الشعائرية ذروتها في العاشر من المحرم، اليوم الذي وقع فيه استشهاد الحسين. في ذلك اليوم تجري تشبيه المقتل في الحسينيات، أو في فسحة من مكان يفتقر لتقنيات المسرح بالمعنى المعاصر للكلمة، وتنعدم فيه الفواصل بين الممثلين وجمهور المشاركين ـ ولا أقول

---

[60]()قصيدة الشاعر السوري نزار قباني وأخرى للشاعر المصري أمل دنقل. وثالثة للشاعر الفلسطيني، أحمد دحبور بعنوان: "العودة إلى كربلاء"، وللكاتب المصري عبد الرحمن الشرقاوي عمل مسرحي بعنوان: "الحسين ثائرا ، الحسين شهيدا" بيروت 1985، أنظر أيضا الحيدري (1999، ص 382ـ 90)، حيث يجمل الكاتب ما ورد لدينا أعلاه، وأعمال أخرى عديدة في الأدب والفن بميادينهما المختلفة في العالم العربي، فضلا عن حضور خاص لكربلاء في آداب العراق وفنونه.

[61]()في لبنان، يبدأ القارئ قراءته بقصيدة رثاء للحسين وآل البيت، أو ينهي القراءة بقصيدة من هذا النوع. والقصائد هي لشعراء ممن عاصروا آل البيت وعرفوا بالتشيع لهم مثل الشريف الرضي والفرزدق والكميت. وبعض القصائد لشعراء معاصرين من أبناء الطائفة في العراق (النجف خاصة) أو جبل عامل في لبنان.

المشاهدين، فالمشاهدة الشعبية في الحسينيات هي أيضا مشاركة في التذكار والتكرار الطقسي لكربلاء.

من حيث الشكل، تبدو عناصر الذكرى ثابتة ومتشابهة في بلدان مثل لبنان والعراق وإيران والبحرين، فهذه بلدان شرق أوسطية متجاورة بينها تزاور وتزاوج وحجيج إلى العتبات الشيعية المقدسة في العراق وإيران، حيث يتلقى علماء الطائفة علومهم الدينية. وقد يكون من المفيد تقديم عرض لشعائر الذكرى في البلدان المذكورة للتعرف على أوجه الشبه والاختلاف بينها. ففي كربلاء مثلا (وهي المدينة التي شيدت على خلفية مقتل الحسين،وشيد له مقام فيها) يحصل تجمع شعبي في الأول من المحرم من كل عام. وينقسم الجمع البشري إلى قسمين: قسم يضرب الصدور، وينتظم في حلقتين أو ثلاثة، كل واحدة منها تتكون من مئة إلى مئة وخمسين رجلا. أما القسم الثاني، فهم حملة الجنازيل، وهؤلاء يضربون ظهورهم بالسلاسل الحديدية في مسيرات تجوب الشوارع، وهم ويقسمون عادة إلى صفين متوازيين تخترقهما الأنوار والأضواء ومكبرات الصوت وقارئ يقرأ القرآن والسيرة الحسينية. ويتواجد القراء في السوق أو المقهى أو الجامع أو الحسينية، إلى أن يتم توزيعهم لمرافقة المواكب التي سيقرأون لها. ويعطي القارئ أجراً إلاّ إذا رفض، إذ يعتقد بعضهم بوجوب القراءة كنوع من الصدقة التي تقربه من الإمام الشهيد. وتستمر القراءات على مدى الأيام العشرة الأول من المحرم، وقد تستمر ليوم الأربعين في بعض المناطق، كما سبقت الإشارة.

في الأيام الأولى لذكرى عاشوراء في كربلاء ذاتها، يذهب الناس نهارا لأعمالهم كالمعتاد، ثم يتجمعون في المساء للسير في مواكب يتم تنظيمها حسب التراتبية الاجتماعية للأحياء والمهن. فهناك مواكب خاصة بالحرفيين كالحدادين والنجارين والصاغة، إلخ...، وهناك مواكب للعشائر وأخرى للأحياء السكنية، ويخرج المثقفون والشيوعيون موكبا لهم في العباسية.[62] ولكل موكب قارئ خاص به، ويتم اختيار القراء من ذوي الأصوات الجميلة وأصحاب النسب الشريف، أو من أبناء العائلات المرموقة اجتماعيا. وتسير المواكب الواحد تلو الآخر ثم تلتقي في موكب واحد وقراءات موحدة. وغالبا ما يوزع الأكل والماء على المواكب عند وصولها إلى الحسينيات أو الجوامع، إيفاء بنذور كان المتبرعون قد قطعوها على أنفسهم أملا في تحقيق حاجة، كشفاء مريض أو عودة غائب، أو ولادة طفل بعد انتظار، وقد لا يكون النذر إلا من قبيل التقرب من الإمام الشهيد والأمل بشفاعته يوم القيامة.[63]

يجدر التذكير بأن معركة كربلاء التاريخية استمرت لساعات فقط، إذ بدأت المعركة بعد صلاة فجر العاشر من المحرم وانتهت في عصر ذاك اليوم، وهي بذلك واحدة من أقصر المعارك في التاريخ.غير أن التكرار الشعائري لها يوزع أحداثها على عشرة أيام. ويعتقد الكثير من عامة الشيعة أن المعركة حصلت فعلا وفق العرض الطقسي الذي يستغرق الأيام العشرة الأول من المحرم. ولهذا الأمر مغزاه الهام.فقد حلت عناصر الأسطورة ـ بما

---

[62] ()لقاء مع العراقي عوني الكرومي وناجي عبد الأمير (بغداد: 19/12/1989).

[63] ()لمزيد من التفاصيل حول سعي عامة الشيعة إلى التقرب من الإمام الشهيد، انظر (AYOUB, 1978: 142-43, Thaiss, 1973: 165).

تحمله من تكثيف وترميز لواقعة كربلاء ـ محل الوقائع التاريخية لها. فشعائر الذكرى تركز على دلالة الحدث ومعناه، مما يتطلب وقتا أطول لاستيعاب المعاني التي تشير إليها الأسطورة. ويسهم الإسهاب في ذكر البطولات والمآسي وسرد الإضافات التي أسبغت على قصة الحسين وأدمجت بالوقائع التاريخية، يسهم في وصف وتعداد المحرمات التي انتهكها جند يزيد بن معاوية.ولهذا، يجد المتتبع لوقائع الذكرى، أن للشعائر والعناصر الأسطورية وظيفة تعبوية. فهي تشحن مشاعر الحاضرين باستحضار مظلمة تاريخية، وتوظف ذلك ضد سلطة الحاضر، خاصة في أوقات الاضطراب السياسي أو الاجتماعي. ففي أوقات كهذه تصبح الذكرى إطار لصياغة المعارضة الضمنية أو الاحتجاج الصريح، حسب ما تمليه الظروف السائدة وقت حلول الذكرى.

في الأيام الثلاثة الأُول من عاشوراء، تستهل الذكرى، في كربلاء ذاتها بالشؤون السياسية والاجتماعية العامة وبالقراءات الشعرية. وفي اليوم الرابع، يبدأ تشبيه موت أحد أبناء آل البيت، العباس أو القاسم أو علي الأكبر، بتلاوة سيميائية لقصته.مثلا في اليوم الذي تكرس فيه الذكرى لمقتل القاسم، تتلى قصائد عن الحب والجمال والتغزل بالشباب، إشارة إلى أن المقتول من آل البيت ـ المحتفى بذكراه في ذلك اليوم ـ كان عريسا في مقتبل العمر. وفي يوم التاسع من المحرم، أي ليلة العاشر منه، وهي ليلة مقتل عبد الله ـ الابن الرضيع للحسين ـ يوزع الحليب على الأطفال، للدلالة على أن المقتول، المحتفى بذكراه في تلك الليلة، كان طفلا رضيعا.

أما يوم عاشوراء، أي عاشر المحرم، فيكرس في كربلاء وفي عموم بلدان الشيعة، لتشبيه مقتل الحسين.وهو يوم عطلة رسمية تبدأ فيه الاستعدادات للاحتفال الكبير منذ الفجر، حيث تتجمع في ليلة عاشوراء مواكب رجال يلبسون الأكفان البيضاء ويضربون رؤوسهم الحليقة بقطع خشبية حتى الفجر لتخديرها، تمهيدا للاحتفال الرسمي الذي يبدأ مع خروج مواكب "اللطّيمة" و "الضريبة" في الصباح. عندئذ، يضرب هؤلاء رؤوسهم بالمدى وصدورهم بالأيدي وظهورهم بالجنازيل. ويرافق موكب "اللطّيمة" بوق تنطلق منه الصيحات وفريق من المشاركين يدعى "الشواقيف" ـ أي حملة القطع الخشبية. ومسؤولية الشواقيف هي مد القطع الخشبية كحاجز يحول بين الرؤوس والمدى وذلك لمنع "الضريبة" من تجاوز حدود المعقول في الضرب على رؤوسهم، حتى لا تتأذى من المدى. ثم ينهي "الضريبة" مسيرتهم ما بين التاسعة والعاشرة صباحا، ويذهبون إلى الحمَّام بالتناوب وبعد ذلك تلتقي جموع المواكب في الحسينية، حيث يقام المأتم الرئيسي ثم تختتم المراسيم بتشبيه مقتل الحسين.

يتم انتقاء الممثلين لتشبيه المقتل على أساس من تراتبية دينية ـ اجتماعية، كما هو الحال في تنظيم المواكب فشبيه الحسين يتم اختياره من الأسياد (الذين يعتقد بانتسابهم لسلالة النبي). ويمثل دور أنصار الحسين أشخاص من عامة الناس عرفوا بالتدين والتقى. أما دور عسكر يزيد بن معاوية، فيقوم به أشخاص عرفوا بالانحطاط المسلكي أو التشوه الخلقي، كالخرسان والعوران.ورغم أن دورا كهذا هو إمعان في الحط من شأن هؤلاء، إلا أنهم يتمثلون الدور بحماس، اعتقاداً منهم بأن المشاركة من

جانبهم في إكمال مشاهد مقتل الحسين تطهر حالهم وتعلي من شأنهم. ويستمر تشبيه المقتل ثلاث ساعات أو أربعا. وفي تلك الأثناء، يقوم ممثلو دور أبناء مسلم بن عقيل (ابن عم الحسين ومبعوثه إلى الكوفة) بالدوران حول حلقة الشبيه وهم يصرخون: "العطش العطش يا جداه"، إشارة إلى مقتل الحسين وهو عطشان، عندما حالت قوات ابن زياد بينه وبين ماء الفرات.

ولا تختلف تفاصيل الشعائر كثيراً في البحرين أو لبنان أو إيران، عنها في كربلاء ذاتها. ففي البحرين، مثلا، تعقد ثلاثة مآتم يوميا في الصباح والظهيرة والمساء، وتتلى فيها وقائع كربلاء وسيرة شهداء آل البيت، وذلك حتى السابع من المحرم، حيث تبدأ المواكب الرسمية بالخروج إلى الشوارع. وتخرج المواكب عادة في الليل ما عدا يوم عاشوراء، حيث تخرج صباحا وعصرا فقط، والبحرين هي الدولة الخليجية الوحيدة التي تخرج فيها مواكب اللطم إلى الشوارع، فيما يمارس اللطم داخل الحسينيات في الدول الخليجية الأخرى.[64] ويخرج كل مأتم أو حسينية موكبا وكما هو الحال في كربلاء، تتبع مواكب البحرين تراتبية الأحياء والمهن. ففي مدينة المحرق، مثلا تسمى الأحياء بمهن سكانها، وهناك مأتم خاص بالبنائين وآخر بالصاغة وثالث بالحدادة إلخ...، كما توجد مآتم للجماعات الإثنية المختلفة، فمثلا، للشيعة من أصل إيراني مأتم يخرج موكبه الخاص به.[65]

في اليوم السادس من المحرم، تبدأ في حسينيات البحرين التلاوات التي يترافق معها تشبيه مقتل أحد أبناء آل البيت، بعد أن تكون التلاوة قد سردت فضائله. والشائع أن يتم تشبيه مقتل خمسة من آل البيت، خلال الأيام الأربعة أو الخمسة الأخيرة من الذكرى، وهؤلاء هم: العباس، القاسم، علي الأكبر، عبد الله الرضيع والحسين. ووقائع سير الشهداء الخمسة، مستقاة ـ أو مستوحاة ـ من مبالغات وردت في رواية أبي مخنف في تاريخ الطبري، ومن إضافات أسطورية لاحقة، وردت في كتابات الشيعة الشعبية .

ومن أبرز قصص الشبيه في عاشوراء البحرين، مثلا قصتا العباس والقاسم (ابن الحسن، الشقيق الأكبر للحسين)، فضلا عن قصة الإمام الحسين، الذي تستقى الذكرى معناها من شهادته. وأحيانا تشتمل قصص الشبيه على بعض أنصار الحسين البارزين مثل الحر الرياحي، الذي ترك قوات الكوفة وانضم للحسين وقاتل ببسالة منافحاً عنه إلى أن استشهد بين يديه. وقد تشتمل المشابهات أيضا على مشهد دفن الشهداء في منطقة الغاضرية.[66]
يلقب العباس في قراءات السيرة الحسينية بقمر بني هاشم، لما ذكر عن وسامته وعلو همته. إذ تروي كتابات الشيعة، عن العباس أنه لم يحتمل رؤية الحسين والعيال عطشى أثناء المعركة، فخرج لإحضار الماء، فإذا بسهام

---

[64]()لقاء مع الشاعر البحريني، قاسم حداد (عمّان: 4/5/1999).
[65]()المصدر نفسه.
[66]()في بلدة سنابس في البحرين يتم تشبيه دفن شهداء كربلاء، تقليداً لما جاء في الرواية التاريخية، أن قوما من بني أسد كانوا يسكنون قرب المعركة، قاموا بدفن الشهداء بعد مغادرة قوات ابن زياد للموقع. وتشبيه ذلك، يقتصر على قيام عدد من الأشخاص بإيماءات تشير إلى قيام بني أسد بدفن الشهداء وفي بعض الأحيان يتم في البحرين تشبيه مشهد نساء آل البيت اللواتي ذكرت كتب التاريخ أنهن أرسلن كالسبايا إلى دمشق بعد انتهاء المعركة (المصدر نفسه).

الخصم تنال منه فتقطع كفيه، فيحتوي إناء الماء بذراعية، ثم يقتل وهو في طريق العودة إلى الخيمة قبل أن يتمكن من إيصال الماء للعطشى. في شبيه العباس البحرين، تلعب كفه المقطوعة دوراً في الإشارة إلى حمية الشهيد. وقصة العباس ـ كما تحكيها السيرة ـ هي مقاربة لما ذكر في التاريخ عن جعفر بن أبي طالب ـ أحد أبناء عمومة النبي وابن عم الإمام علي، وأحد أوائل شهداء الإسلام في معركة مؤتة.[67] فقد عرف جعفر بسمات الشخصية المنسوبة للعباس، واشتهر عنه أنه عندما بترت كفاه في مؤتة، احتوى علم المسلمين بذراعيه وأسنده إلى صدره ليحول دون سقوطه على الأرض، ولهذا لقب بالطيار وبذي الجناحين.

ويتخذ شبيه القاسم ـ الذي لم تثبت قصته تاريخيا كما ترويها الأسطورة ـ يتخذ تقليد زفة عريس في مشهدين: المشهد الأول، يلبس فيه الشبيه بدلة العريس، وتطفأ الأضواء فيما تحمل الشموع ويزف الشبيه تحف به الشموع في عتمة الليل من كل جانب. وفي المشهد الثاني، يشاهد الفتى العريس محمولا على الأكتاف ومزملا بكفن ملوث بالدماء، إشارة لعودته شهيدا في ليلة عرسه.

في هذه القصة أيضا محاكاة لأسطورة بابلية قديمة، هي أسطورة تموز الذي يقتل، فيما الحبيبة عشتار تظل تبحث عنه وتحزن العمر على فراقه. وعشتار، في شبيه القاسم (ابن الحسن)، هي سكنية (بنت الحسين)، التي تذكر قراءات عاشوراء أنها خطبت للقاسم عشية المعركة. ومحاكاة أسطورة تموز تبدو أوضح ما تكون في شعائر عاشوراء عند شيعة لبنان، حيث "العرس ـ المأساة" يأخذ مكانه في مآتم النساء اللواتي يقمن باختيار فتى وفتاة للقيام بشبيه العروسين وسط الندب والبكاء وتخضيب الأكف بالحناء (تخضيب الأكف بالحناء تقليد تمارسه النساء البدويات والريفيات في عموم العالم العربي، وهو مرتبط بمناسبات الفرح لا الحزن، إلا أن التخضيب بالحناء في شبيه القاسم، تقصد منه الإشارة إلى أن القاسم قد عاد في ليلة عرسه مزملا بدمائه بدلا من الحناء، الذي يشترك مع الدم بخاصية اللون الأرجواني القاني). وفيما القارئة تروي سيرة القاسم وسكينة، تردد النسوة خلفها مرثاة باللهجة المحكية لشيعة الجنوب اللبناني. تقول المرثاة: "من عظم المصاب سكينا (سكينة بنت الحسين)/ وين جدي (النبي) وين حيدر (الإمام علي) وينا (أينه) / وين جبرائيل وملوك السما/

---

[67]()وقعت معركة مؤتة في الثالث من جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة (النصف الثاني من أيلول من العام 629 ميلادية)، بين المسلمين من جانب، والروم والغساسنة من جانب آخر. وقد خسر المسلمون فيها ثلاثة من قادتهم هم على التوالي: زيد بن حارثة جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، وذلك لتفوق الخصم عليهم بالعدد والعتاد، ثم آلت القيادة إلى خالد بن الوليد الذي أعدَّ للمسلمين خطة انسحاب منظم لتفادي المزيد من الخسائر في معركة غير متكافئة (كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل فيما قارب عدد الروم والغساسنة مائتي ألف). وقد وقعت المعركة على خلفية قيام غساني بقتل الحارث بن عمير الازدي، المبعوث الذي أرسله النبي للغساسنة ليدعوهم إلى الإسلام. وقد لقب جعفر بعد استشهاده في مؤتة بالطيار وبذي الجناحان لقول النبي لأصحابه عشية استشهاد جعفر: "مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مخضب القوادم بالدم" (ابن الأثير، ج 2، ط 1407 هـ / 1987م).

ينظرون حسين لمن (لما) ارتمى / جاسم العريس حنوه بالدما/ وليش يا زهرة (أم الحسين ـ فاطمة بنت النبي ـ الملقبة بالزهراء) ما تحنينا".[68]
للمآتم في لبنان تراتبية اجتماعية لها صبغة سياسية واضحة. فرغم وجود حسينية في كل قرية شيعية تمارس فيها الشعائر بصيغتها الدينية والفلكلورية، إلا أن مآتم من نوع خاص تقام في منازل الشخصيات المتنفذة من الطائفة. فمثلا، كان كامل الأسعد، رئيس مجلس النواب الأسبق يحرص على إقامة مأتم في منزله، رغم أنه لم يعرف عنه التدين.[69] ويحرص نبيه بري، رئيس حركة أمل والرئيس الحالي لمجلس النواب، على عقد مأتم في منزله كذلك. ويعتبر عقد المآتم في منازل وجهاء الطائفة، مقياسا لنفوذهم في الأوساط المحسوبة عليهم في مناطقهم الانتخابية، خاصة إذا ما كان الوجيه زعيم تنظيم سياسي، أو يجمع في شخصه بين الوجاهة الاجتماعية التقليدية، والنفوذ السياسي أو الاقتصادي في الحاضر.
أما المثقفون الشيعة، فيشغلون الحسينيات كنواد تعقد فيها المحاضرات الثقافية، فضلا عن الاجتماعات العامة في المناسبات السياسية الهامة. وقد برز هذا الدور الثقافي ـ السياسي للحسينيات إبان الحرب الأهلية في السبعينات والثمانينات، حيث كان كتاب شيعة بارزون من اليسار اللبناني، مثل حسين مروة ومهدي عامل،[70] يعقدون ندواتهم الثقافية في الحسينيات.[71]
تجدر الإشارة إلى أن خريطة التوزع السياسي لشيعة لبنان ظهرت خلال العقدين الأخرين، في ثلاثة مآتم كبرى[72] هي: المأتم الحاشد الذي يعقده حزب الله في مناطق البقاع والنبطية والضاحية الجنوبية من بيروت، ويشارك فيه عشرات الآلاف، وهو أكبر المآتم عددا وأكثرها تشددا في ممارسة الشعائر، ويليه من حيث الحجم، المأتم الذي تقيمه حركة أمل في حسينيات الضاحية الجنوبية من بيروت.
أما المأتم الثالث، فتعقده المؤسسة العاملية، التي يشرف عليها المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى برئاسة الشيخ محمد مهدي شمس الدين. وهذا الاحتفال أقرب إلى مناسبة وطنية عامة منه إلى مأتم. إذ يأخذ هذا الاحتفال، طابع تجمع لبناني عام يحضره مندوبون رسميون عن الدولة والطوائف الإسلامية والمسيحية وأعضاء من البعثات الديبلوماسية. ويعقد هذا المجلس في العاشر من المحرم فقط، ويقتصر على الخطبة الرسمية التي يلقيها الشيخ شمس الدين، وخطب الوفود من رجال الدولة وزعماء الطوائف الإسلامية والمسيحية. وتتضمن الخطب في العادة شؤون الساعة من قضايا سياسية واجتماعية، وبعضها يعرج على ما يجب تعلمه من ثورة الإمام الحسين ضد الظلم.[73]

---

[68]()بزيع، "عاشوراء في إرث الشرق القديم: أدونيس، المسيح، المهدي"، جريدة السفير اللبنانية (بيروت 23/6/1994).
[69]()لقاء مع الشاعر اللبناني شوقي بزيع (عمان: 30/5/1999).
[70]()وقد اغتيل مروّة وعامل إبان الحرب الأهلية في الثمانيات في ظروف لم يتم الكشف عن ملابساتها.
[71]()لقاء سبق ذكره مع الشاعر بزيع (عمان: 30/5/1999).
[72]()المصدر نفسه. غير أن هناك مجلسا رابعا أقل حشدا تعقده دار الإفتاء الجعفري في بئر حسن في الضاحية الجنوبية (المؤلفة).

وكما هو الحال في البحرين والعراق، تتلى السيرة الحسينية في لبنان موزعة على عشرة أيام، في المآتم التي تقام في الحسينيات والجوامع.وقد تروى في اليوم الأول قصة "مفاوضات" مسلم بن عقيل، مبعوث الحسين إلى الكوفة، رغم أن الرواية التاريخية لمقتل مسلم لا تذكر حصول مفاوضات، بل تذكر مقتل مسلم بعد الإيقاع به عن طريق مخبر دسه ابن زياد بين أنصاره، لكشف خطته وكشف مناصريه من أهل الكوفة .

تلي المآتم المسيرات (أو المواكب، كما تسمى في العراق والبحرين). ولم يكن في لبنان قبل الحرب الأهلية في سبعينات هذا القرن، سوى موكب واحد هو موكب بلدة النبطية في الجنوب اللبناني. وقد تكاملت في عاشوراء النبطية مشاهد الفولكلور الشعبي وطقوس الأعياد الدينية والمناسبات الموسمية. ففي تجاوب مع احتياجات الذكرى، تنشط في البلدة حركة بيع وشراء، حيث يشتري الناس الأقمشة السوداء والأحذية والحناء والمأكولات، مثل الهريسة (فطيرة محلاة بالسكر) والحلويات والمرطبات.وقبل الحرب الأهلية اللبنانية اقتصر تشبيه مقتل الإمام الحسين على النبطية، حيث كان العرض يقام في ساحة البلدة، إلى أن تمت إقامة مسرح في الثمانينات لهذا الغرض.

في تشبيه المقتل في النبطية، يظهر شبيه الحسين ممتطيا جواده، الملقب بذي الجناح، وهو يتلقى طعنات جند الكوفة. ثم لا يلبث أن يسقط عن حصانه تحت وطأة الطعن. بعد ذلك يقوم شخص بحركة يفهم منها قطعه رأس الشهيد، فيدرك الحاضرون أن ذلك الشخص هو شمر بن ذي الجوشن، الذي تذكر الروايات التاريخية على أنه كان قاطع رأس الحسين في المعركة. ثم تظهر خيل تضرب جسد شبيه الحسين بحوافرها إشارة إلى إمعان جند الكوفة في التمثيل بجثة الشهيد. وفي المشهد الختامي، يظهر فرس الحسين وهو عائد إلى خيمة النساء وحيدا، في إشارة إلى سقوط فارسه في ساحة القتال.

بعد تشبيه المقتل، يبدأ اللطم على الصدور وضرب الرؤوس. والمنذورون للإمام الحسين، هم أكثر من يشارك في اللطم والضرب. وهناك اعتقاد بأن الملائكة تشارك في العزاء وتساعد على بلسمة جراح "الضريبه".[74] وكان اللطم وضرب الرؤوس يقتصران على بلدة النبطية قبيل الحرب الأهلية اللبنانية، غير أن هذه الممارسات امتدت لمناطق الوجود الشيعي في

---

[73]()تغطيات صحفية لذكرى عاشوراء في لبنان إبان الثمانينات والتسعينات، جريدة النهار اللبنانية، أنظر، على سبيل المثال لا الحصر، أعداد الصحيفة المذكورة في التواريخ التالية: (18/10/1983، 16/9/1986، 23/7/1991).

[74]()تذكر المؤلفات الأسطورية للسيرة الحسينية أن مجالس عزاء انعقدت لرثاء الحسين بعد ولادته، "هي ثلاثون مجلسا: الأول منها انعقد فوق السماوات عند سدرة المنتهى ليلة ولادته والمبين للمصيبة الله والسامع جبرائيل وألف قبيل من الملائكة كل قبيل ألف ألف حين أمرهم (الله) بالنزول لتهنئة النبي بولادته (أي الحسين)، فقال إذا هنيته عزه وقل له إن ولدك هذا يقتل مظلوما". وتضيف الرواية أن المجلس الثاني للعزاء انعقد في حجرة فاطمة، والثالث في حجرات زوجات النبي والرابع في مسجد النبي، وكان الراثي فيه تارة النبي وتارة جبرائيل (التستري، 1375هـ / 1956م، ص 108). تجدر الإشارة إلى أن الشيعة يقيمون مجالس عزاء حسينية عند فقدان عزيز لديهم، اعتقادا منهم بأن التذكير بمعاناة الحسين وآل البيت يخفف من المصاب فيتأسى الناس بالتماثل بين حزنهم على فقيدهم والحزن على الحسين وآل البيت.

ضاحية بيروت الجنوبية ومنطقة بعلبك في البقاع اللبناني، إثر صعود حزب الله وتصاعد حركة المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي. وتشهد المناطق المذكورة تجمعات حاشدة في الذكرى السنوية لعاشوراء، ترفع فيه صور الخميني وموسى الصدر، ومؤخرا رفعت صور لخامنئي، الزعيم الروحي الحالي لإيران.

تجدر الإشارة إلى أن النساء غالبا ما لا يشاركن في تشبيه مقاتل آل البيت في الساحات العامة أو الحسينيات، رغم أن الوقائع التاريخية للمعركة تذكر وجود خيمة لنساء وأطفال من آل البيت رافقوا الحسين في رحلته إلى الكوفة، ولابد أن هؤلاء شهدوا وقائع المعركة ومقاتل رجالهم. ومع ذلك تقتصر مشاركة النساء في عاشوراء على مآتم نسوية تعقد في البيوت، حيث تقرأ إحدى النسوة مآتم الحسين وسيرة عذاباته. وفي المواكب تشارك النساء كمشاهدات فقط.

غير أن لزينب ـ شقيقة الحسين التي رافقته إلى كربلاء ـ حضورا رئيسيا في قراءات عاشوراء. إذ تلعب زينب في السيرة الحسينية "{...} الدور الذي تلعبه مريم بالنسبة للمسيح. لكن الفارق الأساسي يمكن في انتقال العلامة من إطار الجنس والحب في أسطورة أدونيس وعشتروت إلى الأمومة التي تحتضن الشهادة في سيرة المسيح، وإلى إطار الأخوة التي تلعب الدور نفسه في واقعة كربلاء، ذلك أن الفكر الديني المثالي أعطى للمرأة دورا يتجاوز العشق الجنسي ليضعه في إطار أكثر {...} تساميا وحوَّلها من حبيبة إلى أم في المسيحية وإلى أخت في الإسلام الشيعي. والسيرة الحسينية ترسم لزينب إطارا يكاد يكون خارقا من حيث شجاعتها وقدرتها على الاحتمال. إنها الشخصية الرئيسية الثانية في كربلاء، فهي التي تستقبل ببسالة جثث أهلها المستشهدين واحداً إثر آخر، وهي الخطيبة المفوهة التي تقف أمام يزيد برباطة جأش وإمعان في التحدي ومتابعة المواجهة بعد انفضاض المعركة".[75]

يلحظ المتتبع لوقائع الذكرى أن ممارسة الشعائر تتسم باللاتراتبية. فأبناء الطائفة من مختلف فئات السلم الاجتماعي يشاركون فيها على نحو ما من المساواة ـ على مستوى الوجدان الديني. وهذا ما يعزز التماسك الداخلي للطائفة ويعيد إنتاج وحدتها. إلا أن المرء يلحظ بالمقابل، بأن هذه المناسبة الحيوية لتماسك الطائفة، تنطوي من جانب آخر، على تراتبية تدل عليها الرموز والإشارات العلامية التي تزخر بها شعائر الذكرى. فالوقائع الواردة فيما تقدم تشير إلى تراتبية إجتماعية في مواكب المهن (في ذكرى كربلاء ذاتها) وتراتبية اجتماعية ـ إثنية (في مواكب البحرين) وتراتبية اجتماعية ـ سياسية (في مجالس العزاء في لبنان) وتراتبية دينية بين آل البيت وعامة الشيعة (في تلاوة السيرة وشعائر الشبيه في عموم البلدان التي تمارس فيها هذه الشعائر). تبدو التراتبية الدينية، أيضا، في إيماءات عدة بتضمنها أداء الشبيه. فشبيه آل البيت تسند عادة لأشخاص يعتقد بانتسابهم لآل البيت، ويتصفون بالوسامة وجمال الصوت (لصوت المنشد في عاشوراء دلالات أخلاقية وجمالية تميز الشخصيات الخيرة، أي آل البيت وأنصارهم).

---

[75]() بزيع، "عاشوراء في إرث الشرق القديم: أدونيس، المسيح، المهدي"، جريدة السفير اللبنانية (بيروت 23/6/1994).

وتسند أدوار أنصار آل البيت لأشخاص من عامة الناس عرفوا بالورع والتقى، فيما تسند أدوار جند الكوفة للمنبوذين بسبب شذوذ مسلكي أو تشوه خلقي. وتنطوي المرثاة بمجملها على ما أسماه الشاعر اللبناني شوقي بزيع، بـ "تراتبية التفجُّع" بين آل البيت وأنصارهم،[76] فتأجيج المشاعر يبدأ عندما يشرع القارئ في رواية مقاتل آل أبي طالب، ثم يتواصل التصعيد الوجداني مع مقتل علي الأكبر والعباس والقاسم وعبد الله الرضيع، إلى أن يبلغ ذروته عند سقوط الحسين، فادي الجماعة وشفيعها يوم القيامة. على أن ذروة التأسي على الحسين تعكس مجددا توحد الجماعة وإعادة إنتاج تكافلها على أرضية الإيمان بإمامة الشهيد.

وهكذا في كل عام، تتكرر شعائر الذكرى مرئية ومسموعة ومشبهة. وللشبيه فيها ـ كما للشعائر ـ مضامين وإيماءات معروفة سلفا لجمهور المشاهدين/ المشاركين. والشبيه هو عرض مسرحي يشير إلى المضامين الدينية والسياسية للشهادة، أكثر بكثير مما يهدف إلى تمثيل دور الشهيد. ورغم الاعتقاد السائد بأن تمثيل المقتل يقتصر على الحسين دون باقي الشهداء، إلا أن الشبيه يحصل في حالات أبرز شهداء آل البيت، والأكثر تميزا بين أصحاب الحسين.

وفيما تتسم الشعائر بالثبات النسبي من حيث الشكل، فإن مضامين قراءتها تتغير من عام لعام، تبعا للظروف السياسية المحلية في البلد المعني، أو تلك الظروف الدولية التي تمس عموم العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط.وقد تتطرق الخطابات لأوضاع بلاد في العالم الثالث يتماثل حالها مع حال العرب والمسلمين.وغالبا ما يتم ربط مضمون ما يجري في الحاضر ـ محليا أو عالميا ـ بالمعاني التي حملتها كربلاء الحسين،[77] فلكل عصر ولكل بلد حسينه ويزيده.

في العام 1967، العام الذي اندلعت فيه حرب حزيران بين العرب وإسرائيل (وهي الحرب التي احتلت فيها إسرائيل باقي أراضي فلسطين ـ الضفة الغربية وقطاع غزة ـ فضلا عن الجولان من سوريا وسيناء من مصر)، في ذلك العام تمحورت قراءات عاشوراء في كربلاء ذاتها حول الحرب، وقورنت عذابات الفلسطينيين في تلاة السيرة الحسينية بعذابات آل البيت، فكان شعب فلسطين نظير الإمام الشهيد، فيما كان الاحتلال الإسرائيلي نظير يزيد بن معاوية وجنده الملعونين. وفي العام 1968 (العام الذي اغتيل فيه إرنستوتشي غيفارا) كان غيفارا في قراءات السيرة الحسينية، في

---

[76]()لقاء سبق ذكره، مع الشاعر بزيع (عمان:30/5/1999).

[77]()يذكر بزيع في المصدرين أعلاه حادثة اقتحام الدبابات الإسرائيلية لاحتفالات عاشوراء في شوارع النبطية وساحتها العامة في العام 1984، ورد الفعل العفوي للجموع المحتشدة على ذلك، فيقول: {...} المشهد الذي جرى في ساحات النبطية وشوارعها عام 1984 هو أحد هذه الفصول التي تجعل من كل فرد قابلا لكتابة السيرة وإعادة صياغتها. ذلك أن اقتحام الآليات الإسرائيلية للجماهير المحتشدة حول المشهد الكربلائي أعاد إحياء المواجهة بين الفريقين في عملية تماه واضحة المعالم بحيث تحول الإسرائيليون إلى "يزيد" العصر (المزدوجان في الأصل) وتحول الناس المحتشدون إلى "حسينيين" جدد (المزدوجان في الأصل) الأمر الذي دفع هذه الحشود إلى مواجهة الآليات العدوة بأجسادهم العزلاء دون تردد {...}". فكان ذلك المشهد كربلائيا "على الطبيعة" (بزيع، "عاشوراء في إرث الشرق القديم: أدونيس، المسيح، المهدي"، جريدة السفير اللبنانية (بيروت 23/6/1994)، واللقاء مع بزيع، المشار إليه أعلاه

كربلاء أيضا، صنو الإمام الشهيد، ورمزا من رموز التضحية والفداء للإنسانية جمعاء. وأما الاستخبارات الأميركية الـ CIA (التي ذكر بأنها كانت وراء اغتياله)، فماثلت في القراءات جند يزيد بن معاوية.[78]
كذلك شهد العالم كله على شاشات التلفزيون، كيف أن ذكرى عاشوراء في إيران في العام 1978، حفزت على الثورة ضد النظام الشاه، وبينت كيف أن الأمة الإيرانية بمختلف فئاتها الدينية والعرفية كانت تعيش أزمة وطنية عامة استحال معها استمرار النظام السياسي في ذلك البلد على حاله، واستحال معها استمرار الإيرانيين على المنوال نفسه. وقد لاحظت الكاتبة هغلاند HEGLAND في حينه، التغير الذي طرأ على مضمون عاشوراء في قرية علي آباد الإيرانية. ففي عاشوراء ذلك العام، تحول الحسين من شفيع intercessor ترجى شفاعته عند وقوع مرض أو حلول مصيبة، إلى نموذج أعلى للثائر الشهيد، الذي فضل الشهادة على العيش الذليل.[79] كما لاحظت الكاتبة المذكورة، أن مواكب عاشوراء لذلك العام، لم تقتصر على الشيعة، بل شارك فيها الإيرانيون من مختلف الطبقات والإثنيات والطوائف، مستلهمين حس الثورة من المناسبة. أي أن منطق الثورة revolution في ذلك العام، غلب منطق الكمون concealment of faith فحلت الثورة بذلك، محل التقية، التي لجأ لها الشيعة طويلا في عهد الشاه محمد رضا بهلوي.
في لبنان، شهدت احتفالات عاشوراء تكثيفا ملحوظا واتخذت مضامين جديدة إبان العقود الثلاثة الأخيرة التي شهدت الحرب الأهلية والاجتياحات الإسرائيلية المتكررة، فما نتج عن الحرب من تهجير جماعي وسقوط مئات الآلاف ما بين قتلى ومفقودين، اتخذ طابعا دراميا صارخا، تماثل في دراميته مع عاشوراء من حيث تعدد وجوه المأساة. وقد عبر الشيعة عن تفاعلهم مع هذه الأحداث باستلهام المعاني الكفاحية من كربلاء الحسين. ففي معالجة الشؤون الداخلية اللبنانية، مثلا، تركزت خطابات عاشوراء على حقوق المحرومين (أي أبناء الطائفة الشيعية التي كانت تحس بالغبن ضمن تركيبة التوازنات الطائفية في لبنان). وفي مواجهة تبعات الحرب الأهلية الطاحنة، دعت الخطابة في ذكرى عاشوراء إلى الوحدة الوطنية وسيادة القانون على جميع المواطنين بالتساوي. وفيما يتعلق بالاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على قرى الجنوب ذي الكثافة الشيعية، ركزت الخطب على وحدة الشعب اللبناني في مواجهة الاحتلال، أي أن الذكرى في سياق المواجهة مع إسرائيل، كانت مناسبة لمخاطبة اللبنانيين بمختلف أطيافهم السياسية لا الشيعة وحدهم وإثر اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان في العام 1978، خرجت مسيرات عاشوراء متراصة الصفوف يدا بيد وكتفا إلى كتف، في إشارة إلى التماسك الوطني في مواجهة الاحتلال، فيما لوحظ أن الصفوف لم ترص بهذا الشكل عندما كان الوجود الفلسطيني المسلح في جنوب لبنان موضع انتقاد بعض اللبنانيين.[80]

---

[78]()لقاء سبق ذكره، مع العراقي عوني الكرومي وناجي عبد الأمير (بغداد: 19/12/1989).

[79]()hegland, in keddie, ed. (1983):219- 35

[80]()لاحظ ذلك فؤاد إسحق خوري في نقاش لي معه حول صور لاحتفالات عاشوراء ظهرت على صفحات جريدة النهار اللبنانية في عقد الثمانينات

لقد أعطت أسطورة الإمام الشهيد للطائفة الإمامية العنصر العقائدي اللازم لبلورة شخصيتها كطائفة في إطار الدين الإسلامي. ويبين تكرار الشعائر في كل عام، كيف توظف الرموز الدينية للتعبير عن مشاغل دنيوية. فكان التكرار الطقسي لكربلاء ـ عبر أداء شعائر التعزية ـ هو الجسر الذي يصل الأسطورة بالتاريخ، والمقدس بالدنيوي. ومع مرور الزمن، غدت شعائر التعزية وعاء أيديولوجيا لإمامة الشهيد، وصارت الشهادة هي الوسيط الرمزي لتفسير علاقات السلطة السائدة، فالشهيد في حال الجماعات المهمشة سياسيا، ليس إلا مقولة عقائدية تعكس الموقع السياسي الهامشي لتلك الجماعات. بذا، تُرَسِّمُ إمامة الشهيد عند الشيعة، الحد الأيديولوجي، الذي به، ومن خلاله، تميز الطائفة الإمامية نفسها عن أهل السنة والجماعة في مجتمعها الأوسع.

من قتل الحسين؟

غني عن القول أن أهل السنة يوقرون النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار، ويعترفون لهم بالفضل، ومنهم الحسين بن علي رضي الله عنهما، الذي تأتي ذكرى استشهاده في شهر محرم، الأمر الذي يجعل من الضرورة بمكان الحديث عن ظروف مقتله، حيث جعل الشيعة ذلك الموضوع مادة للطعن في أهل السنة، والادّعاء بأن من قتل الحسين هم أهل السنة، وقد ألّف الشيعة الكثير من المؤلفات في ذلك الموضوع،قابل ذلك إهمال من أهل السنة، ولعلّ هذا ما دفع الأستاذ عبد الله عبد العزيز إلى تأليف كتاب "من قتل الحسين" الذي نحن بصدد تناوله في هذا العدد. وقد قسم المؤلف كتابه الذي صدر عن دار الأمل في القاهرة ويقع في 129 صفحة إلى ستة فصول، تحت كل فصل عدد من المباحث.

الفصل الأول: أهل السنة وآل البيت رضي الله عنهم

وفيه يسرد المؤلف ما سطره علماء أهل السنة في مؤلفاتهم عن فضائل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وكذلك الأئمة الذين يدّعي الشيعة الانتماء إليهم.

أما الحسين رضي الله عنه ـ موضوع كتابنا هذا ـ فإن المؤلف ينقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما جاء في مجموع الفتاوى، وهو يلخص ما عليه أهل السنة تجاه هذه المسألة، حيث يقول ابن تيمية عن الحسين رضي الله عنه: "وقد أكرمه الله بالشهادة وأهان بذلك من قتله أو أعان على قتله، أو رضي بقتله، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء، فإنه وأخوه سيدا شباب الجنة، وقد كان قد تربيا في عز الإسلام لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر والأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهما الله بالشهادة تكميلاً لكرامتهما ورفعاً لدرجاتهما، وقتله مصيبة عظيمة".

الفصل الثاني: ماذا تعرف عن الكوفة

ارتبط استشهاد الحسين بالكوفة، تلك المدينة التي كانت مهداً للشيعة، والتي طلب أهلها من الحسين القدوم إليهم لمبايعته ثم نكثوا عهودهم. وإزاء إلحاح أهل الكوفة خرج الحسين من المدينة إلى الكوفة لتتوالى الأحداث كما سنرى في فصول قادمة من الكتاب وتؤدي إلى استشهاد الحسين.

فالمؤلف يؤكد بناء على أقوال كبار علماء الشيعة أن الكوفة أولاً كانت مهد الشيعة وعقر دارها كما قال باقر شريف القرشي في كتابه "حياة الإمام الحسين" "إن الكوفة كانت مهداً للشيعة، وموطناً من مواطن العلويين وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت في كثير من المواطن".

ويذكر المؤلف ثانياً أن الكوفة اشتهرت بكونها موطناً للغدر ونقض العهود، وهو يتقل هنا قولاً للشيخ جواد محدثي في "موسوعة عاشوراء" إذ يقول: "اشتهر أهل الكوفة تاريخيا بالغدر ونقض العهد..." ويقول أيضا: "ومن جملة الخصائص النفسية والخلقية التي يتصف بها أهل الكوفة يمكن

الإشارة إلى ما يلي: تناقض السلوك والتحايل والتلون والتمرد على الولاة والانتهازية وسوء الخلق والحرص والطمع وتصديق الإشاعات والميول القلبية، إضافة إلى أنهم يتألفون من قبائل مختلفة. وقد أدت كل هذه الأسباب إلى أن يعاني منهم الإمام علي عليه السلام الأمرّين، وواجه الإمام الحسن عليه السلام منهم الغدر، وقتل بينهم مسلم بن عقيل مظلوماً، وقتل الحسين عطشاناً في كربلاء قرب الكوفة وعلى يد جيش الكوفة".

الفصل الثالث: الشيعة وآل البيت

وفي هذا الفصل يحدثنا المؤلف عن الكتب التي كان يرسلها الشيعة من أهل الكوفة إلى الحسين ليقدم إليهم لينصروه، وكيف نقضوا عهودهم، وهو الأمر الذي كان مألوفاً أن يقوموا به، وكيف أن الشيعة تحولوا إلى الجيش الذي قاتل الحسين.

وإن غدر الشيعة بأئمة آل البيت كان نهجاً مألوفاً، لذلك جاء في كتاب نهج البلاغة أن الإمام علي رضي الله عنه كان يشتكي من شيعته ويقول: "ولقد أصبحت الأمم تخاف رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي... أتلو عليكم الحِكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي، فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غدوة، وترجعون إلى عشية كظهر الحية... يا أهل الكوفة منيت بكم ثلاث واثنتين: صُم ذوو أسماع، وبُكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء..".

هكذا كان تعاملهم مع الإمام علي، أمّا مع ابنه الحسن رضي الله عنه فيذكر أحمد راسم النفيس في كتابة على خطى الحسين" تعليقاً على ما لاقاه الحسن من إيذاء شيعته: "إن الهزيمة النفسية قد أصابتهم، ولم تعد بهم رغبة في جهاد، ولا بذل، ولا تضحية، فقد جربوا الدنيا وحلاوتها، وباتوا يريدونها، وهم لن يجدوا ما يطمعون فيه، وخاصة رؤساؤهم في ظل العدل، وإنما اشرأبت نفوسهم إلى بني أمية قادة المرحلة القادمة".

وبلغ غدر القوم بأئمتهم مبلغاً شديداً إذ يقول المرجع الشيعي الكبير محسن الأمين العاملي: "فبويع الحسن... وعوهد ثم غدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه". ونقل إدريس الحسيني في كتابه "لقد شيعني الحسين" قول أمير المؤمنين الحسن لشيعته: "يا أهل العراق إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي".

وإذا كان هذا التعامل الشيعة مع الإمامين علي والحسن، فان الحسين لم يكن بعيداً عن ذلك الغدر، ويخصص المؤلف عدداً من مباحث هذا الفصل لوصف الأجواء التي سبقت واقعة الطف سنة 61 هـ التي استشهد فيها الحسين، وخذلان الشيعة في الكوفة له وهم الذين طلبوا من الحسين أن يقدم إليهم ليبايعوه، وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد، بل إن هؤلاء الشيعة تحولوا إلى المعسكر الأخر الذي حارب الحسين.

ولعلّ البداية في قصة استشهاد الحسين رضي الله عنه تعود إلى ذلك الكم الكبير من الكتب التي كان يرسلها الشيعة من أهل الكوفة إليه يعلنون

فيها له الولاء، فيقول المحدث الشيعي عباس القمي في كتابه منتهى الأمال: "وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في يوم واحد ستمائة كتاب من عديمي الوفاء أولئك، وهو مع ذلك يتأنى ولا يجيبهم، حتى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب".

ويقول محمد كاظم القزويني الشيعي في كتابه "فاجعة الطف" أن أهل العراق كاتبوا الحسين وراسلوه وطلبوا منه التوجه إلى بلادهم ليبايعوه بالخلافة إلى أن اجتمع عند الحسين اثنا عشر ألف كتاب من أهل العراق وكلها مضمون واحد كتبوا إليه: قد أينعت الثمار واخضر الجناب، وإنما تقدم على جند مجند. إن لك في الكوفة مائة ألف سيف، إذا لم تقدم إلينا، فإنا نخاصمك غداً بين يدي الله".

وإزاء هذا الإلحاح، لم يجد الحسين بدّاً من إرسال ابن عمه مسلم بن عقيل، إلى الكوفة ليستطلع الأمر، "وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً، وفي حديث الشعبي بلغ من بيعه أربعين ألفا" كما جاء في كتاب الشيعة وعاشوراء لرضا حسين الحسين.

وتذكر روايات الشيعة أن مسلم بن عقيل لم يكن متفائلاً في سفره لما يعرفه من تقلب أهل العراق ومواقفهم الملتوية.. لكن الحسين أصرّ عليه بالمضي إلى الكوفة، فمضى حتى دخلها واستقبله أهلها بالترحاب فنزل ضيفاً على المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وأمير الكوفة آنذاك هو النعمان بن بشير، وقد وصفة المؤرخون بأن كان مسالماً يكره الفرقة ويؤثر العافية.

ومن دار المختار، أخذ مسلم بن عقيل يستقبل الناس وينشر الدعوة إلى الحسين، وعلم بذلك والي الكوفة النعمان، لكنه لم يتعرض له بسوء.

وعندما رأى مسلم بن عقيل إقبال الآلاف من شيعة الكوفة على مبايعته، أرسل إلى الحسين يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته وانتظارهم، ويقول له: "الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً".

توجه الحسين بعد ذلك إلى الكوفة، وكان قد سأل الشاعر الفرزدق عن الناس(أهل العراق) فقال له : قلوبهم معك وأسيافهم عليك، فقال الحسين : صدقت لله الأمر وكل يوم هو في شأن.

وتولى عبيد الله بن زياد إمارة الكوفة ،واستطاع هذا الوالي الجديد أن يفرق الناس عن مسلم بن عقيل ، فقد أرسل إلى رؤساء العشائر والقبائل يهددهم بجيش الشام ، ويطمعهم ، إلى أن بقي مسلم وحيدا ، ثم أسر ثم قتل بعد أن نقض الشيعة في الكوفة بيعته.
وحين جاء للحسين خبر غدر أهل الكوفة بمسلم ، جمع الناس وقال: " فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف..". وقد ورد هذا القول للحسين في كتاب منتهى الآمال لعباس القمي وغيره.

وقد نقل غير واحد من علماء ومؤرخي الشيعة محاولة الحسين الرجوع إلى المكان الذي جاء منه بعد تخاذل الشيعة وخيانتهم ، بل وطلب من الجيش الذي التقاه أن يذهب - أي الحسين- إلى يزيد بن معاوية خليفة المسلمين بالشام ليضع يده في يده. إلا أن المواجهة فرضت على الحسين وقتل رحمه الله شهيدا مظلوما وسط من بايعوه وأعلنوا له الولاء ، ودعوه للقدوم إليهم.
وقد جاء في " مقتل الحسين " لمرتضى عياد أن الإمام زين العابدين علي بن الحسين رأى أهل الكوفة ينوحون ويبكون ، فزجرهم قائلا :" تنوحون وتبكون من أجلنا فمن الذي قتلنا!".
ويقول الشيعي كاظم الإحسائي النجفي في كتابه عاشوراء " إن الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام ثلاثمائة ألف كلهم من أهل الكوفة ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا هندي ولا باكستاني ولا سوداني ولا مصري ولا أفريقي، بل كلهم من أهل الكوفة، قد تجمعوا من قبائل شتى".

من قتل مع الحسين من أهل البيت؟

من حب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة أن سمى أبناءه بأسمائهم ، وقد قاتل هؤلاء مع أخيهم الحسين في كربلاء . والملاحظ هنا تعمد خطباء الشيعة عدم ذكر هذه الأسماء الطيبة حتى لا يعيد رواد الحسينيات النظر في مواقفهم من الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، رغم أن هذه الأسماء وردت في عدد من أهم كتبهم.
فممن استشهد مع الحسين : أبو بكر بن علي بن أبي طالب ، عمر بن علي بن أبي طالب ، عثمان بن علي بن أبي طالب، وكذلك استشهد أبو بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعمر بن الحسن بن علي.

الفصلان الرابع والخامس

وفي هذين الفصلين يشير المؤلف إلى عدد مما أحدثه الشيعة من بدع في ذكرى استشهاد الحسين في عاشوراء (العاشر من محرم) ، ويبين أن تلك البدع التي أطلق عليها " الشعائر الحسينية" بحجة الحزن على الحسين لم تكن على عهد الأئمة. وقد كان للدول الشيعية التي قامت فيما سبق مثل البويهيين والعبيديين الفاطميين والصفويين دور في نشر هذه البدع وتعميمها.
ومن هذه البدع يجدر الإشارة إلى ما يسمى المواكب الحسينية والمأتم الحسيني ، وإعلان الحداد الرسمي يوم عاشوراء ، ومجالس التأبين ، وإنشاد الشعر في رثاء أهل البيت.
وفي عاشوراء ترتكب المحرمات أيضا ، ومن ذلك اللطم والنياحة ,وإسالة الدم. ويدعي الشيعة أنه لا صحة لصوم يوم عاشوراء إذ يقولون أنه بدعة أموية.

الفصل السادس : زيارة الحسين

يشير المؤلف في الفصل الأخير من الكتاب ضلال آخر يمارس وهو شد الرحال إلى قبر الحسين، والاعتقاد بأن الزيارة أفضل من الحج والعمرة !

فقد جاء في " المزار" للمفيد عن أبي عبد الله قال : "من زار الحسين عليه السلام كتب الله له ثمانين حجة مبرورة" وغير ذلك من الروايات المكذوبة.

كما يرتكب محرم آخر بحجة محبة الحسين والأئمة ، وهو البناء على القبور ، حيث يقول إمامهم الشيرازي في " الفقه العقائد " : الشيعة تعتقد أن بناء الأضرحة والقباب على مراقد الأنبياء والأئمة والشخصيات الإسلامية من أفضل المقربات إلى الله سبحانه ". هذا بالرغم من روايات تنهى عن ذلك إذ روت الشيعة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه.

ولي صوفي أمريكي

قالوا: طلب البروفسور كارل إرنست أحد الباحثين المهمين في الدراسات الإسلامية والمتخصص بالحركات الصوفية للشهادة في محكم نزاعات حقوقية في كاليفورنيا كخبير في الصوفية للفصل في نزاع إرث لولي صوفي متوفى في كاليفورنيا تنازع أبناؤه على مزاره أمام محاكم أمريكا وانقسم أتباعه بين أبنائه.

الغد 9/12/2004

قلنا: نعم هكذا يكون الزهد في الدنيا والخروج عن المطامع الشهوانية.

الصوفية تجلب السلام للعالم

قالوا: يقول العالم الإيراني الصوفي الكبير المتخصص في الفكر الصوفي الفارسي داريوش شاييفان

ـ إن القرآن الظاهري قابل لسبعة آلاف تأويل أمكنها أن تحدث حروباً قاتلة بينما توصي المعرفة الروحية ـ الصوفية ـ بإسلام متسامح يرفض العنف رفضا!

ـ لقد رجعت في كتابي لأربعة متصوفة ينتمون لحضارات ثقافية مختلفة:

1ـ ألماني من القرن الثالث عشر وهو إيكار.

2ـ هندي من القرن التاسع وهو شنكار.

3ـ مسلم أندلسي من القرن الثاني والثالث عشر وهو ابن عربي.

4ـ صيني من القرن الرابع قبل الميلاد وهو شوانغ تسو.

هؤلاء الرجال رغم اختلاف عصورهم وبيئاتهم فإنهم يرون الأشياء بنفس الكيفية.

الدستور 7/ 1/ 2005

قلنا: وهذا يؤكد أن التصوف هو دين عابر للأديان السماوية حيث أنه في الحقيقة دين الشيطان الأول القائم على وجدة الوجود.

ونعم المهدي!

قالوا: قتل ظاهر الفصلي (45 عام) وهو شيعي كويتي زوجته بدرية (38عام) وابنه البكر وليد (21عام) وابنته نيداء (16عام) بناء أوامر الإمام المهدي في الحلم.

الرأي 11/12/2004

قلنا: وماذا سيفعل المهدي المزعوم إذا جاء إلى الدنيا؟

سيفعل النبوءة اليهودية في كتب الشيعة "إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بحكم داود وسليمان" وفي نبوءة يهودية أخرى "لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مم يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس: هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم".

لعبة سمجة

قالوا: تجري على الحدود اللبنانية مع فلسطين حرب سرية بين حرس الحدود الإسرائيليين وأفراد حزب الله حيث يتسلل الجنود الإسرائيليون ليلاً إلى مراكز المقاومة المضاءة ليلاً فيجدونها خالية فيعبث بها الجنود فيقوم أفراد حزب الله بقص الشريط المكهرب ويدخلون فلسطين ويعودون دون إطلاق رصاصه واحدة!

الوطن العربي 1/7/ 2005

قلنا: يا لها من بطولات نادرة سوف تحرر العالم من قبضة اليهود!

مؤتمر فريد من نوعه

قالوا: سيكون هناك حدث مهم هذا العام وهو مؤتمر لإلحاد العالم وسيقام في فيجاياوادا بالهند في أوائل يناير.

الوطن 5/1/2005

قلنا: لن يطول الأمر للأسف حتى يطالب الملحدون عندنا بإقامته في المنطقة العربية.

عبادة الشيطان!

قالوا: يوجد 468 ألف موقع مختص لعبادة الشيطان منها "الموقع الرسمي لكنيسة الشيطان" وموقع "عبادة الشيطان".

الدستور 3/1/2005

قلنا: هذا يدلنا على حاجة الإنسانية لنور الوحي الذي أنعم الله به علينا ويدلنا كم هي الهجمة شرسة أيضاً علينا فهل نأخذ اهبتنا لهذه المذاهب والعقائد الفاسدة.

كيف جرى إنقاذ المخيمات في لبنان؟

قالوا: ما زلت أذكر تلك الليلة من شهر أيار 1985 التي كان مقرراً فيها سقوط مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة .... بعد أنهى أبو عمار اتصالاته مع سفرائه ورجالاته في المخيمات.... أستكمل في تلك الليلة التاريخية اتصالاته مع القادة الإيرانيين فاتصل بأية الله منتظري.... فأصدر أية الله منتظري في تلك الليلة الفتوى المشهورة باسم مجلس العلماء الإيراني التي اعتبرت المعتدين على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين خارجين عن الإسلام وأنهم عملاء ينفذون المخطط الصهيوني.

عرفات حجازي مستشار عرفات في الثمانينات

الدستور 1/1/ 2005

قلنا: **وماذا كان سيحدث لو لم يتصل عرفات؟ هل كان منتظري لا يرى كفر حركة أمل في اعتدائها على المخيمات. لكنها السياسة الانتهازية والتقية الشيعية.**

الدروز في الأردن

جهاد جبارة الرأي 25/1/2005

" الكاتب مسيحى أردنى ، والمقال تعريف دعائى للدروز استقاه من مصادر درزية " الراصد

يبلغ تعداد «الموحدين» الملقبين بالدروز نحو مليون نسمة في أحسن التقديرات، وتتركز هذه المجموعة في جبل العرب في سوريا، وفي لبنان وفلسطين، واعداد قليلة في الاردن .. وهناك بعض المجموعات الصغيرة في اميركا، واميركا اللاتينية التي هاجرت اصلاً من سوريا ولبنان...

«عاهد سليم قنطار» نائب رئيس تجمع ابناء بني معروف (الدروز) في الاردن قال «للرأي» انه ليس لديهم في حقيقة الامر احصائيات رسمية عن اعداد الدروز على الرغم من قلتهم فهم يشكلون ما نسبته 3-4 بالمائة من سكان سوريا، وحوالي 8 بالمائة من سكان لبنان .

ويوضح «قنطار» ان الذين بقوا متمسكين بالدعوة الدرزية كان معظمهم يسكنون في مناطق جبلية لا يسهل الوصول اليها ومن تلك المناطق واهمها واقدمها «جبل لبنان»، ووادي «التيم» عند جبل الشيخ.. اما حالياً فإن اكبر تجمع لهم في لبنان، وفي جبل العرب في سوريا علماً أن استيطانهم في جبل العرب يعتبر قريب العهد، ويعود الى العقد الثاني من القرن السابع عشر في الوقت الذي بقيت فيه جماعات صغيرة من الدروز قرب الجبل الاعلى بجانب حلب، وغوطة ودمشق ، وصفد، والجليل في فلسطين.

دروز الاردن

وعن تواجد «الدروز» في الاردن فان «قنطار» يعتبر ان تحديد ذلك لا يتم بمعزل عن التواجد الدرزي في جبل العرب، مضيفاً ان الحديث عن مراحل استقرار الدروز في الاردن يستدعي الحديث عن تداخل الحدود بين الاراضي الاردنية، واراضي جبل الدروز (العرب)، هذا التداخل الذي سببته اتفاقية سايكس بيكو، حسب قنطار، واستمر طيلة فترة الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان.

ويفصل بأن «التكوين الجغرافي لمنطقة تواجد الدروز كانت تمتد بين ما يعرف حالياً بجبل الدروز امتداداً حتى منطقة الازرق في شمال الاردن، لقربها من اراضي جبل العرب حيث كانت تتبع له، وتشير الوثيقة المقدمة من «مصطفى الاطرش» شيخ «متان» في جبل العرب، والمؤرخة في الخامس عشر من رمضان عام 1325 للهجرة، الى ان منطقة الازرق هي اراض تقع جنوب قرية متان في جبل الدروز وتتبع لها، وقد تم تصديق هذه الوثيقة من السلطات التركية آنذاك، موضحاً ان الاراضي الواقعة بين

الازرق والمنطقة الجنوبية لجبل الدروز كانت تعتبر جزءاً من اراضي الجبل الى ان اصابها التعديل الحدودي في عهد الانتداب.

شخصيات مشهورة

وعن الشخصيات الدرزية التي كان لها دور مميز في الاردن منذ التأسيس يقول قنطار: ان اول حكومة اردنية شكلت في 11 نيسان عام 1921 كانت برئاسة «**رشيد طليع**» وهو درزي من لبنان والذي كان ايضاً رئيساً لحزب الاستقلال، الوريث الشرعي «للجمعية العربية الفتاة» كما عاد «طليع» وشكل الحكومة الثانية في الخامس من تموز عام 1921.. ويشير الى ان رجال حزب الاستقلال آنذاك قدموا من دمشق بعد انتهاء الحكم الفيصلي وكان هدفهم الثورة ضد الفرنسيين وطردهم من سوريا واعادة توحيد الوطن السوري في حكومة وحدة وطنية واحدة، ومن اهم رجالات حزب الاستقلال من الدروز الذين وفدوا الى الاردن اضافة الى «رشيد طليع»، «**فؤاد سليم**» الذي شغل منصب رئيس هيئة اركان الجيش الاردني، والامير «**عادل ارسلان**» الذي عُين رئيساً للديوان الاميري، و«**عجاج نويهض**» الذي عين مديرا للاذاعة ثم مديرا للمطبوعات والنشر، **والدكتور سليمان النجار** الذي شغل منصب مدير الخدمات الطبية، ثم **فريد طليع** الذي تسلم مهام مدير الخدمات الطبية مباشرة بعد سليمان النجار.

وحول استقرار الدروز في الاردن، يؤكد قنطار ان بداية استقرارهم كانت في واحة الازرق القريبة من جبل العرب والتي كانت تعتبر جزءا من اراضيه، موضحا ان بداية الاستقرار في الازرق كانت عام 1918 عندما وصل ما مجموعه 22 عائلة درزية من جبل العرب بعد خروج الاتراك من المنطقة وسكنت قصر الازرق «وهو قصر اموي مبني من الحجارة البازلتية السوداء» ولان تلك المنطقة كانت موحشة مما كان يدعو هذه العائلات لاغلاق ابواب القصر الحجري خوفا من الغزوات والحيوانات الكاسرة والمفترسة.
غير ان اول سكن للدروز سُجل خارج القصر كان عام 1937 عندما قام احد الدروز ببناء بيت له يبعد عن القصر مئتي متر فقط.

الاندماج

ويبين قنطار ان علاقة الدروز مع بلدة الازرق ترسخت وقويت عندما اصبحت هذه البلدة احدى محطات الثورة العربية الكبرى وانتقلت اليها قيادة الامير فيصل بن الحسين قائد الجيش المتوجه شمالا.

ويستذكر قنطار هنا ما ذكره المؤرخ سليمان الموسى في كتابه لورنس العرب: «ان الازرق كانت واسطة الاتصال بين فيصل وانصاره من السوريين ومنهم الدروز، حيث اخذ الكثير من مؤيدي الثورة بمغادرة سوريا كي ينضموا الى جيش الثورة».
ويضيف: لقد استمرت حركة الدروز وتنقلهم من والى داخل الامارة الناشئة

آنذاك حيث كانت تلك التحركات تتم اما على شكل عائلي، او فردي، ولاسباب عديدة منها:

1- مجموعات اتت لتسكن الازرق او القرى المحاذية للجبل مثل قرية ام القطين او لزراعة اراض مملوكة لسكان قرى جبل الدروز.

2- مجموعات اتت طلبا للرزق والعمل.

3- مجموعات قدمت قسرا بسبب ظروف الثورة ضد المستعمر الفرنسي وبعدها ظروف الثورات ضد الحكومات المحلية، مثل الثورة ضد «اديب الشيشكلي».

ولم ينته عام 1932 حتى كان الدروز يشكلون جزءا يتنامى ضمن المجتمع الاردني وتوزعوا في مناطق عديدة اهمها الازرق، العاصمة عمان، الزرقاء، الرصيفة، ام القطين،العقبة والمفرق. وعن اعداد الدروز في الاردن يوضح قنطار: لان الدروز يندرجون ضمن العرب المسلمين في الاردن فان تعدادهم لا يتم ضمن احصاء منفرد غير التقديرات الموجودة لدى تجمع ابناء بني معروف تشير ان العدد لا يتجاوز 15 الف نسمة موزعين كالتالي : الازرق «6200»، عمان «6000»، الزرقاء «1500»، ام القطين «450»، الرصيفة «400»، العقبة «100»، المفرق «100».

الأزرق

اكبر تجمع للدروز بالاردن هو في الازرق ورغم ان الاعداد القاطنة في مدينة عمان تكاد تتساوى مع الاعداد المقيمين في الازرق الا ان تواجدهم في عمان يتوزع على مناطق مختلفة داخل مدينة يفوق عدد سكان 5ر1 مليون نسمة اما في الازرق فانهم يشكلون الغالبية المطلقة.
وبعد استقرار اول العائلات الرئيسية الدورز في الازرق عام 1918 لجأت اليها اعداد اخرى من الدروز عام 1924 بعد ان ازداد الوضع في جبل الدروز سوءا.
ويعتبر استخراج ملح الطعام وتكريره من اهم مصادر الدخل لسكان الازرق، فقد تم اكتشاف الملح عام 1924 مصادفة هناك فبعد ان قام احد الصيادين بحفر حفرة ليكمن فيها للصيد تفاجأ بتدفق الماء وامتلائها لكنه عندما عاد بعد عدة ايام وجد الحفرة قد جفت من الماء الذي تحول الى ملح ومنذ ذلك الوقت اصبح استخراج الملح هو العمل الرئيسي للسكان وهو اهم مصدر من مصادر الدخل، وبعد معاناة على مدار 60 عاما، اصبح يستخرج ويكرر بطرق حديثة الى ان تم بناء مصنع لتكرير الملح عام 1987 تملكه جمعية الازرق التعاونية.
لقد شملت النهضة الاردنية منطقة الازرق بطبيعة الحال فبعد ان كانت منطقة مغلقة شبه معزولة اصبحت الآن نقطة تلاقي الطرق الدولية البرية التي تربط الاردن بالعراق، وسوريا، والسعودية مما ادى الى ازدهار الخدمات الصناعية، والتجارية، والسياحية وخلق فرص عمل واستثمارات جديدة لسكان المنطقة.

اضافة الى كل ذلك فقد اتجه العديد من السكان الى العمل بالزراعة المروية وانشاء مزارع الزيتون، والعنب.

عمان

كان النجاح الذي حققه الدروز الاوائل في عمان وراء اقبال المجموعات المتتالية للقدوم اليها ولم ينحصر ذلك في منطقة جبل الدروز ولبنان، بل جاءها دروز من فلسطين ومع النمو العمراني والاقتصادي الكبير الذي حققته عمان كانت اعداد الدروز تزداد حيث ساهموا في المجالات كافة، وعمل قسم منهم في قطاع الانشاءات والتعهدات وحققوا نجاحا كبيرا.

مؤسسات اجتماعية

ساهم الدروز كبقية مواطني المملكة في انشاء، وتأسيس مؤسسات المجتمع المدني، وبرز دور الجمعيات الخيرية كأطر مؤسسية تنظم العمل الاجتماعي والخيري وتوظفه في تنمية المجتمع المحلي، ولما كانت هذه الجمعيات تمثل اطر المجتمع المدني المتوفرة والمرخصة فقد نشط «بنو معروف» ومنذ مراحل مبكرة في تأسيس جمعيات خيرية شأنهم في ذلك شأن الشعب الاردني فهناك على سبيل المثال.

جمعية الفقير الدرزي

تأسست هذه الجمعية في مدينة حيفا في فلسطين وبدأت عملها عام 1939، وكان دروز الاردن يمارسون انشطتهم الاجتماعية من خلال هذه الجمعية قبل تأسيس الجمعيات الاخرى وقد تم نقل جزء من نشاط هذه الجمعية الى عمان بعد عام 1948 واستمرت طيلة عقد الخمسينات غير انه لم يتم تسجيلها رسميا في الاردن.

جمعية الازرق الخيرية

وقد تأسست عام 1967 في الازرق ومارست انشطة اجتماعية فعالة حيث كانت تشرف على كافة البرامج والمساعدات المخصصة للمجتمع المحلي مثل تقديم وجبة غذاء يوميا لطلاب وطالبات المدارس.

الجمعية الخيرية العربية

وقد تأسست في عمان عام 1969 وكان لهذه الجمعية دور بارز في ممارسة انشطة مختلفة تعنى بالمجتمع المحلي مثل تدريب الفتيات على مهن مختلفة وكذلك انشطة رياضية وثقافية واجتماعية تهدف الى تفاعل الدروز مع المجتمع المحلي اسوة بالكثير من الجمعيات في محافظة العاصمة كما تملك هذه الجمعية مبنى مؤلفا من اربعة ادوار في واحد من جبال عمان.

وهناك ايضاً، جمعية الحكمة الخيرية في الزرقاء ومثلها في الرصيفة بالاضافة الى جمعية سيدات الازرق للتنمية الاجتماعية.

اما فيما يتعلق بالجمعيات التعاونية فيوضح قنطار ان «بني معروف» يعتبرون العمل التعاوني صيغة متقدمة للعمل المتبع الذي يوظف الجهود، ويوحد ويخلق من وحدات الانتاج الصغيرة قوة انتاج تستطيع ان تقف في منافسة متكافئة مع عوامل المنافسة في اقتصاد السوق فهناك العديد من الجمعيات التعاونية التي قام بتأسيسها الدروز في الاردن واهم تلك الجمعيات جمعية الازرق التعاونية، جمعية سيدات الازرق التعاونية. جمعية آل معروف التعاونية
وهناك ايضاً العديد من النوادي الثقافية والرياضية مثل نادي الازرق الذي تأسس عام 1971، ومنتدى الازرق الثقافي الذي تأسس عام 1996 وهو الذي يقوم بتنظيم مهرجان الازرق للثقافة والفنون والذي يجري سنوياً في قلعة الازرق الاثرية.

وعن التكافل الاسري والروابط الاجتماعية لبني معروف: اوضح قنطار انه بتاريخ 12/ 12/ 1990 اصدر دروز الاردن وثيقة اجتماعية ترسم الخطوط لأطر العلاقات الاجتماعية بين ابناء بني معروف المقيمين في الاردن لما يكفل التآخي، ويحقق التعاون فيما بينهم، وقد جاء في هذه الوثيقة «اننا كجزء لا يتجزأ من الامة العربية نجد انفسنا معنيين بالتراث، عادات وتقاليد، نحترمه ونجله، ونضعه من مشاعرنا المكان الذي يستحق فهو ربط للماضي بالحاضر، يعطي للمجتمع وسائل الاستمرارية والتطور وهو كجزء اساسي من الهوية المميزة لكل مجموعة من الناس، وان اية محاولة للخروج عن هذه الاطر الاجتماعية تحمل فيها بذور فنائها.

وقد تطرقت هذه الوثيقة الى تحديد السلوك وتمتين الروابط الاجتماعية، والابتعاد عن مظاهر الاسراف فيما يتعلق بعادات الخطوبة والزواج والاعياد والتعزية مؤكدة على العادات العربية الاصيلة التي اعتزت بها عشائر بني معروف عبر تاريخها.

الآن وليس غداً!

صالح القلاب **الرأي 11/1/2005**

معظم الدول العربية، إن ليس كلها، تعرف أن هناك تحديات ومخاطر فعلية تنتظرها خلف المنعطف المقبل وأن مرحلة ما بعد الانتخابات العراقية، المقررة آخر هذا الشهر، ستشهد عواصف وأنواء سياسية عاتية أكثر فتكاً من الفيضانات الطبيعية التي شهدتها بعض الدول الآسيوية قبل فترة.

إن قول هذا الكلام ليس من قبيل التهويل ولا التخويف فالإنذارات المبكرة تشير إلى أن القادم أعظم وأن وراء الأكمة ما وراءها وأن هناك استعدادات وتحضيرات لنقل القلاقل إلى الكثير من الدول العربية وأن ما يجري الآن في العراق سيكون مزحة ومجرد نزهة دموية قياساً بما سيترتب على ما يجري التخطيط له لهذه المنطقة.

وبمزيد من الصراحة فإن ما يمكن لمسه وبوضوح هو أن النزعة القومية الآرية ـ الفارسية بدأت تخترق القشرة الدينية للثورة الإيرانية وأن التيار المتشدد، الذي يعلن غير ما يبطن، سينقل معركته وعلى الفور بمجرد حسم المعركة الداخلية وإقصاء التيار المعتدل الذي يمثله الرئيس محمد خاتمي، إلى دول عربية مستهدفة يعتقد "المعممون" الذين يقودون هذا التيار أن لهم فيها مواطئ أقدام تستجيب لطموحاتهم ومخططاتهم.

إن المسألة ليست مسألة شيعية أو سنية إن المسالة أن هناك من يضع العمامة السوداء فوق رأسه ليغطي نزعته القومية الآرية ـ الفارسية وليحقق من خلال هذه العمامة السوداء أهدافاً سياسية وينفذ مخططات توسعية إن ليس بالاحتلال العسكري المباشر فبإيجاد بؤر نفوذ في العديد من هذه الدول العربية المستهدفة باسم "ولاية الفقيه".

وهنا فإنه لابد من القول أن هذه التوجهات القومية الآرية ـ الفارسية التي تضع فوق رأسها العمامة السوداء تستهدف الشيعة العرب بمقدار إستهدافها لبعض الدول العربية فالهدف ليس دينياً ولا مذهبياً.. إن الهدف قومي وعنصري ولذلك فإن ما هو مؤكد ولا مجال للشك فيه أن الشيعة العرب سيكونون الأشد مواجهة، وهم الآن الأشد مواجهة، لهذا المخططات والتطلعات التي ظاهرها النعمة وباطنها العذاب.

إن هناك مارداً قومياً يستفيق في إيران وأن التيار المتشدد الذي يرفع الراية الشيعية من قبيل "التقية" هدفه "إيوان كسرى" في سلمان باك قرب بغداد وهدفه استعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية ونفوذها وتجديد تطلعات الدولتين "الصفوية" والقاجارية" في اتجاه عدد من دول الخليج الذي يصر هؤلاء على أنه خليج "فارسي" وإلى "قاهرة" المعز لدين الله الفاطمي.

لقد بدأت ألسنة النيران تقترب من أطراف أصابع دول المنطقة بعد أن إشتعلت في الثوب العراقي ولذلك وبما أن المثل العربي الشهير يقول:

"أكلت يوم أكل الثور الأبيض" فإنه على هذه الدول العربية المستهدفة فعلاً أن تستعد إستعداداً حقيقياً، وليس بمجرد النوايا والكلام، للاستحقاقات المقبلة وأنه عليها أن تبادر الآن.. الآن وليس غداً إلى بناء الجبهة السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية أيضاً المتينة لمواجهة الأخطار قبل أن تصل إلى حدودها.. وهذا هو الدفاع الإيجابي.

الخليج العربي بين العروبة والفارسية

د. سليمان ابو سويلم الرأي 9/1/2005

في زمن التردي العربي اضاعت العراق حضارة بلادٍ ما بين النهرين، وقبلها ضاعت فلسطين وامعن الاسرائيليون قتلا وتدميراً في اهلها، وفوق ذلك لا زالت الامم تتداعى علينا من ضعفنا وفرقتنا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، ونحن في غفلة من امرنا.

ان تصريح المسؤولين الايرانيين المفاجىء من ان الخليج العربي هو خليج فارسي وتهديدهم بأنهم سيقاطعون كل نشاط او مناسبة في محيطهم الاقليمي، ومهما كان نوع هذا النشاط او المناسبة سياسياً ام ثقافياً ام رياضياً، اذا اشار المنضمون لمثل هذه النشاطات من قريب او بعيد الى عروبة الخليج، يجيء ايضاً في سياق هذا الوضع العربي المتردي، في الوقت الذي لم يقل العرب انفسهم مثل هذا القول، حينما غيرت ايران تسمية عربستان التي كانت الى وقت قريب يسميها الايرانيون انفسهم بعربستان - اي بلاد العرب - الى خوزستان، فهم بهذا التصريح يقطعون اكثر الجسور امتداداً مع جيرانهم العرب والمتأصلة منذ القدم بأواصر الدين والتاريخ.

ان هذا الاعلان المفاجىء من قبل ايران حول فارسية الخليج هو مقدمة اولى لما يجري من محاولة لطمس الهوية العربية في العراق، والذي وفر لنا الرؤية الواضحة للأهداف والنيات والمخططات الايرانية التي تجري وفقها هندسة اوضاع المنطقة برمتها الآن. والتي كرسها احتلال القوات الاميركية للعراق، والذي استشعره بفراسة جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين ونبه اليه بكل صراحة ووضوح حينما اشار الى انشاء هلال اقليمي تحت نفوذ شيعي يضم العراق وايران وسوريا ولبنان.

ان من يقرأ التاريخ يجد ان الارض دائماً هي التي تكسب الشعب المقيم عليها الجنسية، وليش الشعب الذي يكسب الجنسية على الارض، وهذا ما اكده المؤرخ الانجليزي «رودريك اوين» الذي زار الخليج العربي واصدر عنه كتاباً عام 1957 بعنوان «الفقاعة الذهبية - وثائق الخليج العربي» والذي يقول فيه، انه زار الخليج العربي وهو يعتقد بأنه خليج فارسي، لانه لم يرَ على الخرائط الجغرافية سوى هذا الاسم، ولكنه ما كاد يتعرف عليه عن كثب حتى ايقن بأن الواقع والانصاف يقتضيان بتسميته الخليج العربي، لأن العرب يسكنون شاطئيه الشرقي والغربي، وان الفرس لم يركبوا البحر حتى في اوج عظمتهم فاذا ما انشأوا في الخليج اسطولاً كان بحارته من غير الفرس.

اذا كانت ايران التي نحب في الاردن ان نسميها بالشقيقة لنا كلما ورد ذكرها في اعلامنا، تريد ان تغير اسم الخليج العربي الى الخليج الفارسي وقد فعلت في العديد من الاطالس المشتراة، فالاولى لها وهي دولة اسلامية ان تحوله الى خليج اسلامي يجمعنا ويجمعها، بعد ان تحرر بره، وبحره، وجوه.

على الايرانيين الذين يتطلعون الى ثقافة احادية لاحتكار الماء والارض والتاريخ والمستقبل، ان يعلموا ان القياس الذي تستعمله الولايات المتحدة الاميركية والدول الغربية المتحالفة معها في المنطقة برمتها، قياس واحد بغض النظر عن التسمية وهو اشبه بالمسطرة التي يضعها مهندسو ومساحو الارض في حالة تعاملهم مع الشكل الهندسي وهي مسطرة القتل والتدمير، والاحتلال ونهب الثروات، التي جاءت بها الولايات المتحدة والتي لن تفرق بينهما سواء اسمي بالخليج الفارسي ام بالخليج العربي لأن الاسلام يجمعهما وهو الهدف الواحد بالنسبة لهم .

الرقص مع إيران

غسان شربل الحياة 4/1/2005

لم يخف وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي فرحته بـ "الانتصار" الذي حققته بلاده حين وافقت مجلة "ناشونال جيوغرافيك" على سحب تعبير الخليج العربي من أطلسها لتعتمد من الآن فصاعداً عبارة "الخليج الفارسي". واحتفلت وكالة الأنباء الإيرانية بـ "تصحيح التسمية" ورأت في الخطوة "انتصاراً لكل إيراني" وأزالت المجلة عن موقعها في الإنترنت الإشارة إلى الخلاف الإيراني ـ الإماراتي حول الجز الثلاث في الخليج.

لنترك جانباً مسألة المجلة والتسمية، ونلتفت إلى الحقائق في المنطقة. في المثلث الإيراني ـ العراقي التركي المستند إلى توازنات تاريخية وذاكرة مثقلة بالحروب الإمبراطورية يمكن القول إن الضلع العربي قد سقط فعلاً ولا شيء يشير إلى ترميم موقعه في المدى المنظور. لا نقول ذلك من باب حراسة "البوابة الشرقية" عن طريق الاشتباك مع إيران، وهو ما فعله صدام حسين، بل من باب قراءة التوازنات الجديدة التي أنجبتها عوامل عدة بينها النكبة التي ضربت العراق. فتركيا المقيمة تحت قبعة الأطلسي في عهدة حزب ذي جذور إسلامية يتعامل بواقعية مع إرث أتاتورك، انتزعت لنفسها موعداً لبدء المفاوضات لدخول النادي الأوروبي، فيما وحدة العراق مهددة وأرضه مستباحة.

في المقابل، نجحت إيران في إعادة بناء ترسانتها العسكرية في ظل نظام مستقر تسرب الانتخابات اختناقاته. ولم تكتف طهران بالترسانة التقليدية، بل تزايدت الشكوك حول استعداداتها للتسلل إلى النادي النووي أسوة بالهند وباكستان وإسرائيل.

صحيح أن العلاقات بين طهران وواشنطن لم تستأنف، وأن الإدارة الأميركية لا تبخل على النظام الإيراني بالضغوط والحملات، لكن الصحيح أيضاً أن إيران أظهرت براعة في الرقص مع الأميركيين فوق المسرحين الأفغاني والعراقي، وشهدت تهاوي نظامين معاديين لها من دون خسارة نقطة دم واحدة. في الوقت ذاته نجحت في الاحتفاظ بعلاقات صداقة وتشاور مع سورية على رغم اختلاف الحسابات في عدد من الملفات.

أما أخطر ما حققته إيران حتى الآن فهو تحولها لاعباً مقرراً في المستقبل العراقي، وهي تمتلك على الأقل القدرة على منع قيام عراق معاد لها. وسيكون الأمر بالغ الخطورة إذا تحولت إيران جزءاً من النسيج العراقي الداخلي وبدت في صورة الداعم لشيعة العراق أو الحامي لهم أو العراب لفوزهم بالقسط الأكبر من السلطة.

لا مصلحة للعرب في العداء لإيران أو التحريض عليها. لكن من حقهم الالتفات إلى تقدم موقعها في الإقليم فيما يتراجع موقعهم بفعل الانهيارات المتلاحقة، ثم أن من حقهم الالتفات إلى أن امتلاك إيران ترسانة نووية يجب أن لا يقرأ فقط من زاوية التوازن مع إسرائيل، لأنه يضاعف الخلل أيضاً في ميزان القوى بين إيران والدول العربية.

للعرب مصلحة في أوثق علاقات التعاون مع إيران، لكن من حقهم أن يفكروا في موقعهم المقبل في إقليم الشرق الأوسط خصوصاً إذا اختارت واشنطن الاعتراف لإيران ببعض ما تسعى إلى تكريسه بعد انهيار "البوابة الشرقية" وسيكون ذلك الانتصار أهم بكثير من احتفال خرازي بعبارة "الخليج الفارسي" في المجلة الأميركية.

العلاقات العربية ـ الإيرانية: حدود الانفراج.. وآفاق المستقبل

محمد عز العرب مختارات إيرانية العدد 53 - ديسمبر 2004

قام الرئيس الإيراني محمد خاتمي بجولة عربية، في مطلع أكتوبر الماضي شملت أربعة بلدان، استهلها بالجزائر ثم السودان وعُمان واختتمها بسوريا، على رأس وفد وزاري رفيع المستوى يضم وزراء الخارجية كمال خرازي، والدفاع على شمخاني، والصناعة والمعادن أسحق جهانجيري، ومدير إدارة أفريقيا في وزارة الخارجية على سبحاني وعدد آخر من كبار المسئولين الإيرانيين. وتأتي هذه الجولة في إطار سياسة "الانفتاح" الإيراني على الدول العربية التي دشنها خاتمي مع وصوله إلى سدة الحكم في عام 1997، في الوقت الذي يمر فيه المشروع الإصلاحي بفترة صعبة في الداخل الإيراني، خصوصاً بعد استقالة محمد أبطحي مساعد رئيس الجمهورية للشئون القانونية من منصبه بسبب الصدام بين السلطة التنفيذية ممثلة في رئيس الجمهورية والحكومة، والسلطة التشريعية ممثلة في مجلس الشورى السابع.

ويمكن تناول واقع العلاقات العربية ـ الإيرانية وحدود الانفراج التي شهدتها كالتالي:

1ـ العلاقات الإيرانية ـ الجزائرية

تأتي زيارة خاتمي إلى الجزائر بعد مرحلة من الجفاء وقطع العلاقات الدبلوماسية طيلة ثماني أعوام ولم يعد التحسن إليها إلا بعد اللقاء الذي جمع الرئيس الإيراني محمد خاتمي والرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة عام 2000 في نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة الأمم المتحدة. وهو اللقاء الذي دشن مرحلة جديدة في مسار العلاقات بين طهران والجزائر والتي ترسخت بعودة التمثيل الدبلوماسي المتبادل، إلى جانب تبادل الزيارات والبعثات الرسمية (دبلوماسيون،واقتصاديون،وبرلمانيون، ومثقفون) وكذا توقيع عدة اتفاقيات تعاون في المجالات الاقتصادية والعسكرية.

وقد تطرقت محادثات الجانبين للعلاقات الثنائية وخاصة التعاون العسكري بينهما وسبل تطويره وطرحت الحكومة الجزائرية مشروعاً كبيراً للاستثمار الأجنبي في مجال الكهرباء والماء والري بقيمة مليار دولار أمريكي. وتم على هامش الزيارة التوقيع على خمس اتفاقيات تعاون في مجالات الصحة الحيوانية، المالية، التعليم العالي، الصناعات الصغيرة واتفاق حول التعاون القضائي. ويهدف الجانبان الإيراني والجزائري إلى تطوير النشاط الاقتصادي بالناطق الصناعية فيهما ومشاريع الاستثمار المشترك في قطاع البتروكيماويات.

وعلى صعيد آخر أبرزت الزيارة أيضاً تطابق وجهتي نظر إيران والجزائر حول القضايا الإقليمية والدولية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والمسألة العراقية (وخصوصاً ما يعلق بتدهور الوضع الأمني) وغيرها.

2ـ العلاقات الإيرانية ـ العُمانية

تناولت زيارة خاتمي إلى سلطنة عمان ـ التي تعد الأولى من نوعها لرئيس إيراني منذ 34 عاماً ـ التعاون الثنائي ومستجدات الوضع في المنطقة، خصوصاً التطورات المتعلقة بالمسألة العراقية والقضية الفلسطينية، بالإضافة إلى موضوع الإرهاب الدولي وإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

وتنظر عمان إلى إيران والدور الإيراني في الخليج بوصفه إحدى الحقائق التي لا يمكن التصرف بدون أخذها في الاعتبار. فإيران ليست دولة مصنوعة أو مستحدثة أو مقامة على أنقاض حقوق الآخرين، مثل دول كثيرة أقيمت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، لكنها بلد ذو تاريخ وحضارة.

وتنظر عمان إلى إيران بوصفها دولة مسلمة تشارك عمان في الجزء الأعظم من روافدها الثقافية والحضارية، فالإسلام انتقل من الجزيرة العربية إلى إيران عبر عمان، وبالتحديد عبر مضيق هرمز حيث الروابط المباشرة بين شرق عمان وجنوب غربي إيران. كما تنظر عمان إلى إيران بوصفها إحدى القوى التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ العماني. ففي القدم شاركت القبائل الفارسية في استيطان الأجزاء الشمالية من عمان مع القبائل العربية التي نزحت من الجنوب (القحطانيون)، أو من نجد والشمال (العدنانيون). وفي العقود الأخيرة شهدت العلاقات الإيرانية العمانية ازدهاراً ملحوظاً، خصوصاً حينما استعانت عمان بإيران لتصفية التمرد في ظفار وإعادة الاستقرار إلى البلاد.

ومن ثم فإن عمان تنظر إلى العلاقات مع إيران على هذا الأساس بوصفها "علاقات تاريخية قديمة ووطيدة تحكمها سياسة الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية". وفي هذا السياق فإن سقوط الشاه وتغير النظام السياسي في إيران لم يؤثر سلبياً على هذه العلاقات.

وقد شهدت العلاقات الإيرانية العمانية على مر التاريخ فترات من الصراعات أو التعاون المشترك. ودخل كل منهما في تحالفات متنوعة إما لضمان التفوق في مواجهة الآخر أو للتخلص من سيطرته. وتتجاوز الروابط التاريخية بين عمان وإيران، خصوصاً المناطق الجنوبية الغربية من إيران مجرد صراعات المنافسة أو التعاون للسيطرة على الخليج، وتمتد إلى علاقات نسب ودم على جانبي مضيق هرمز حيث اختلطت القبائل على الجانبين بعلاقات المصاهرة التي تعززت خصوصاً بعد مجئ الإسلام واعتناق الإيرانيين له.

كما ترتبط إيران وعمان بروابط الدين الإسلامي وتقارب الحضارتين العربية والفارسية عبر مضيق هرمز، إلى جانب روابط المصاهرة التاريخية على جانبي المضيق. وتعتبر هذه الأسس هي مرتكزات السياسة العمانية تجاه إيران، سواء فيما يتعلق بالموقف من التحولات الداخلية في عمان أو بالموقف من الدور الإقليمي لإيران، أو فيما يتعلق بالحرب العراقية ـ الإيرانية.

وفيما يتعلق بالحرب العراقية ـ الإيرانية على وجه الخصوص فإن الموقف العماني من هذه الحرب ينطلق من القناعات المشتركة لمجلس التعاون الدول الخليج والتي تقوم على أساس الحياد ورفض الحرب والمطالبة بوقفها والدخول في مفاوضات سلمية لحلها، وذلك عن طريق الحرص على استمرار الحوار وتكثيفه مع جميع الأطرف وعلى رأسهم الطرفان المعنيان.

وفي إطار هذه القناعات انتهجت عمان سياسة ثابتة قامت على المحددات الآتية:

(*) تنمية العلاقات العمانية مع كل من العراق وإيران وعدم إهمال الحوار مع أي منهما في أي وقت من الأوقات.

(*) رفض كل الدعوات المتشددة لقطع العلاقات مع إيران أو فرض عقوبات حادة عليها أو اتخاذ إجراءات إقليمية أو عربية ضدها.

(*) محاولة إنهاء حدة الحرب وتخفيف المضاعفات الناتجة عنها في إطار قبول إقليمي ودولي واضح لمثل هذا الدور.

وبناء على ذلك، يمكن تفسير موقف سلطنة عمان الرافض للدعوة إلى مقاطعة إيران وعزلها دبلوماسياً واقتصادياً خلال اجتماعات المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية في أغسطس وسبتمبر عام 1987 وكذلك رفض مسقط قبل ذلك إصدار بيان تنديد بإيران بسبب أحداث المسجد الحرام خلال موسم الحج في العام نفسه، ورفض عمان السماح للعراق باستخدام أراضيها أو تسهيلاتها العسكرية في شن هجمات على الجزر العربية التي تحتلها إيران في مدخل الخليج (أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى) أو المشاركة في التخطيط لمثل هذه الهجمات.

ورغم تصاعد حدة الحرب في الخليج وامتداد رذاذها إلى بعض الدول المجاورة فإن السلطان قابوس أعاد التأكيد على أهمية الحوار حيث قال في هذا الصدد: "لا أظن أن هناك بديلاً آخر عن ضرورة التمسك بفكرة الحوار. ومهما بدا لنا الآن أن الطرف الآخر لا يريد الإصغاء. فلاشك أن هناك في طهران من يتوقون أيضاً إلى السلام".

وقد لعبت سلطنة عمان دوراً مهما لحفظ التوازن في منطقة الخليج،وتوفير قناة للحوار بين دول الخليج وإيران. وكان للدبلوماسية العمانية دور حيوي في استمرار الحوار المباشر وغير المباشر بين مصر وإيران خلال فترة انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ العام 1979 وحتى استئناف هذه العلاقات في 26 مارس 1991 وساهمت عمان بنجاح في العمل على إطلاق سراح البحارة والصيادين المصريين الذين كانت إيران قد احتجزتهم خلال سنوات الحرب العراقية ـ الإيرانية، كما ساهمت كذلك بنجاح في العمل على إطلاق سراح الأسرى المصريين الذين احتجزتهم إيران خلال الحرب مع العراق. فقد كان موضوع الإفراج عن الأسرى المصريين في مقدمة الموضوعات التي بحثها يوسف بن علوي عبد الله وزير الدولة العماني للشئون الخارجية مع المسئولين الإيرانيين في أغسطس 1988، لاسيما وان هؤلاء الأسرى غير عسكريين وإنما هم

مدنيون من المصريين العاملين في العراق، كما أسهمت عمان في إعادة العلاقات بين إيران والسعودية التي استؤنفت بالفعل عام 1991.

كما عملت إيران على تدعيم علاقتها بسلطنة عمان وخاصة في مجال استثمارات الطاقة ويذكر في هذا الإطار إن شركة إدارة مشروعات الكهرباء التابعة لوزارة الطاقة الإيرانية قد فازت في أغسطس 1998 بعقد بناء محطة كهرباء "صلالة" بجنوب عمان بمبلغ 15 مليون دولار يتضمن أعمال التخطيط والإنشاء والتجهيز والصيانة وإنشاء المباني وتشغيل محطة الكهرباء، كما تم إبرام عقد قيمته 150 مليون دولار لاستيراد وتركيب وتشغيل وحدة طاقتها 30 ميجاوات بمحطة كهرباء قرب صلالة.

وتمثل اجتماعات اللجنة العمانية الإيرانية المشتركة تتويجا لجهود البلدين لتكوين الرؤية المشتركة لدعم مختلف مستويات التعاون الثنائي سواء في المجال الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو الأمني (مكافحة المخدرات والتهريب بكافة أنواعه) وإن كان الحوار يتسع أيضاً ليشمل التنسيق في إطارات أوسع مثل منظمة المؤتمر الإسلامي الذي تنضوي كل من عمان وإيران في عضويتها.

وعلى مستوى اللجان المشتركة بين عمان وإيران فإنه إلى جانب لجنة الصداقة العسكرية العمانية الإيرانية المشتركة واللجنة السياسية بين وزارتي الخارجية في البلدين والتي تجتمع سنوياً بالتناوب في كل من مسقط وطهران هناك اللجنة الاقتصادية العمانية الإيرانية المشتركة. وقد أدت أنشطة هذه اللجان إلى إبرام عدة اتفاقات منها على سبيل المثال اتفاقية تبادل الاستثمارات واتفاقية تجنب الازدواج الضريبي واتفاقية التعاون العلمي والفني والبحثي بين البلدين. وفي الثامن من يوليو عام 2003 تم في مسقط التوقيع على الاتفاقية التجارية بين البلدين، وتعمل هذه الاتفاقية من أجل إزالة المعوقات غير الجمركية وتنظيم المعارض المشتركة وتطوير التعاون بين القطاع الخاص وغرف التجارة الصناعية في البلدين لتطوير التبادل التجاري فيما بينهما, مع الأخذ في الاعتبار أن حجم التبادل التجاري بين البلدين لا يزال يقل عن طموحاتهم في هذا المجال فضلاً عن أنه لا يتواكب مع الإمكانات الكبيرة المتوافرة على صعيد التعاون والتبادل التجاري ومجالات الاستثمار وغيرها حيث بلغت المبادلات التجارية بين البلدين 208 ملايين ريال عماني (543 مليون دولار) في عام 2003 مقابل 192 مليون ريال (500 مليون دولار) في عام 2002.

وقد سبق للجنة أن وافقت عام 1997 على تقديم التسهيلات اللازمة لرجال الأعمال الإيرانيين خاصة فيما يتعلق بالتأشيرات التجارية وكذلك للقوارب الإيرانية في ميناء السلطنة "قابوس" وإقامة مشروع مشترك لاستخراج النحاس في إيران وتطوير حقل "هنجام" البحري الواقع في مضيق هرمز والذي يحتوي على احتياطي غاز يقدر بـ (30) مليار متر مكعب، وتسهيل طهران "تجارة العبور" ـ الترانزيت ـ للسلع العمانية عبر الأسواق التجارية الحرة للبلدان المجاورة وآسيا الوسطى ورغبة طهران للمشاركة في المناقصة الخاصة بمشروع تمديد الغاز إلى المنازل في مسقط.

وتتحرك إيران بسرعة كبيرة نحو تطوير الحقول النفطية التي تقتسمها مع دول الخليج، وفي هذا الإطار جرت مفاوضات خلال عام 2000 بين حكومتي إيران وعمان بشأن تطوير حقل "بوخا هينجام" البحري لمكثفات الغاز والذي يقع على بعد 21 كم من ساحل شمال عمان على ممر هرمز الاستراتيجي بين البلدين، ويتم تقسيم الإنتاج حسب حصة كل طرف في الحقل بنسبة 80% لإيران مقابل 20% لعمان.

3ـ العلاقات الإيرانية ـ السودانية

رغم أنه لا توجد روابط مشتركة بين إيران والسودان، سواء في الميراث التاريخي والموقع الجغرافي والنظام السياسي والواقع السكاني، إلا أن العامل المشترك بينهما هو خضوعهما لحصار سياسي واقتصادي دولي ووضعهما على لائحة الدول الراعية للإرهاب في تقارير الخارجية الأمريكية. وكان من أبرز الاتهامات التي وجهت للبلدين معاً، ما نشرته صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية حول إرسال تنظيم القاعدة وحركة طالبان شحنات من الذهب خلال شهر أغسطس 2002، وذلك نقلاً عن محققين أوروبيين وباكستانيين وأمريكيين قولهم أن الذهب أرسل عن طريق البحر من باكستان إلى إيران ونقل من هناك بطائرات مؤجرة إلى الخرطوم. ونفى وزير الداخلية السوداني عبد الرحيم محمد حسنين صحة هذا التقرير، ونفت إيران أيضاً أن تكون قد لعبت دور الوسيط في العملية أو قامت بإيواء أثنين من مسئولي القاعدة، علاوة على ذلك، ما كشفته مصادر غربية ـ فرنسية بالأساس ـ عن تورط منظمة تطلق على نفسها "الكفاح من أجل البناء" في بداية عقد التسعينيات تابعة للحكومة الإيرانية في تدريب الإرهابيين في السودان، وتتولى إدارة المساعدات الإيرانية المتنوعة للنظام السوداني والتي تشمل البترول والمواد الغذائية وقطع الغيار والأسلحة.

والواقع أن حكومة الجبهة الإسلامية (الإنقاذ) في الخرطوم لم تكن أول من فتح الباب أمام إيران للوجود على الساحة السودانية، فقد كان للعلاقات السودانية ـ الإيرانية سوابق أهمها بعد سقوط جعفر نميري عام 1985 حيث تم استئناف العلاقات الدبلوماسية التي كانت مقطوعة بينها، وسمح بدخول صحيفة "كيهان" الإيرانية الناطقة باللغة العربية، وتعززت العلاقات بين البلدين بزيارة الصادق المهدي لطهران في ديسمبر 1986، وذكر بيان إيراني ـ سوداني مشترك أن إيران تعهدت بتغطية الاحتياجات البترولية السودانية، غير أن طبيعة هذه العلاقات وحدودها قد اختلفت في ظل حكم الجبهة القومية الإسلامية التي جاءت إلى السلطة مع انقلاب عمر البشير في 1989،حيث اتجه السودان إلى توثيق علاقاته مع إيران على عدة مستويات اقتصادية وسياسية وعسكرية، ورغم الشك الذي أبدته إيران تجاه ثورة الإنقاذ في البداية ومن توجهاتها الخارجية. ومن خلال مؤشر الزيارات المتبادلة بين البلدين يتضح أن هناك تكثيفا في الروابط السودانية ـ الإيرانية.

وقد وصل هذا التنسيق ذروته مع زيارة الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجاني للعاصمة السودانية الخرطوم في ديسمبر 1992 على رأس وفد كبير، تلك الزيارة التي تم خلالها توقيع عدد من اتفاقات التعاون

بين البلدين في مجالات التسليح والتدريب العسكري والقضائي، كما تم توقيع بروتوكول للتعاون بين أجهزة المخابرات في البلدين، والتي كانت رداً على زيارات سابقة لمسئولين سودانيين إلى طهران.

ويمكن تحديد أهم الأهداف الإيرانية التي تكمن وراء هذا التحرك في رغبة طهران في إيجاد موطئ قدم لها في أفريقيا، خصوصاً إذا كان ذلك في القرن الأفريقي، أو في بلد كالسودان، وقد رأت أن الفرصة مواتية من ناحية، وأن ثمة ضرورة استراتيجية لمثل هذا التحرك من ناحية أخرى، فقد كانت الفرصة مواتية من حيث أن الدول العربية التي كانت تتمتع ببعض النفوذ السياسي والثقافي على جزء من القارة الأفريقية قد انشغلت بالآثار المترتبة على حرب الخليج الثانية، أو أصبحت قيد المعاناة من نتائجها فضلا عن أنها انكفأت على شئونها الداخلية، وكان مثل هذا التحرك بمثابة ضرورة استراتيجية لإيران.وكان السودان بالطبع بحكم توجهاته الإسلامية، ومعاناته الاقتصادية وظروف الحرب الأهلية فضلاً عن عزلته، كان هو الطرف المناسب لإقامة مثل هذه العلاقة.

ومن الناحية الأخرى فربما تكون الحكومة السودانية قد استهدفت من وراء توثيق علاقاتها بإيران الخروج من العزلة الإقليمية والدولية، وخلق توازن جديد ـ حينذاك ـ في المنطقة بعد تدهور علاقاتها مع المملكة العربية السعودية ومصر.

وربما كان من أهدافها أيضاً تعزيز موقفها في الحرب الدائرة في الجنوب من خلال الحصول على الأسلحة من إيران بعد أن توقفت المساعدات العراقية، وفتح مجالات للتعاون الاقتصادي مع إيران بما يخفف من حدة الأزمة الاقتصادية في الداخل ويساعد على تنفيذ سياسة السودان تجاه الدول الأفريقية المحيطة بها والرامية إلى خلق حزام متعاون مع الاتجاهات الإسلامية في السودان، أو على الأقل غير مناوئ لها.

وقد كان من الطبيعي أن تثير هذه العلاقات السودانية ـ الإيرانية قلق العديد من دول المنطقة، إذ أن وجود قوى إقليمية مثل إيران في منطقة القرن الأفريقي وعلى شواطئ البحر الأحمر وفي المدخل الشمالي لإفريقيا وعلى التخوم الجنوبية لمصر قد يفتح الباب أمام تداعيات سياسية وأمنية في المنطقة العربية والقارة الأفريقية، ويزداد هذه القلق بالنظر إلى النوايا الإيرانية في إقامة نظم موالية لها في المنطقة عن طريق مساندة الحركات الأصولية الإسلامية. وكانت مصر أكثر حساسية بالنسبة لهذا الوضع حيث رأت في المساعي الإيرانية تهديداً لثوابت علاقاتها مع السودان وتهديداً استراتيجياً للأمن القومي المصري.

يرى بعض المراقبين أن الحكم العسكري في السودان بقيادة الجبهة القومية الإسلامية قد اضطلع بمهمة تغيير المجتمع عن طريق إقامة دولة أيديولوجية على شاكلة النموذج الإيراني، ولعل في هذه المقولة ما يشير إلى أهمية العلاقات الإيرانية ـ السودانية من حيث انعكاساتها على طبيعة النظام السياسي السوداني .صحيح أنه لا يجب أن تؤخذ هذه المقولة على علاتها، لكن وبنفس المنطق لا يمكن تجاهل مغزاها، ومن ثم فالمطلوب أن توضع في حجمها الصحيح دون تهويل أو تهوين.

الفكرة لجوهرية في هذه المقولة هي أن المكون الديني هو المدخل الأساسي لتصور إمكانية تأثير إيران على النظام السوداني، فالحقيقة أن المكون الديني في النظام السوداني أسبق من هذه العلاقات. بعبارة أخرى يمكن القول أن التوجه الإسلامي له جذوره في النظام السوداني ومن ثم فقد نشأ مستقلاً عن العلاقات مع إيران وسابقاً عليها.

كما أن الأزمات الحالية التي يشهدها النظام السوداني والتي تتمثل في: أزمة الجنوب، أزمة الديمقراطية، أزمة التنمية، أزمة دارفور، لم يكن للعلاقات مع إيران دور في صنعها. ومعنى ذلك، أنه من الصعب القول بوجود أثر للعلاقات مع إيران على سياسات النظام السوداني في الداخل.

لكن ذلك لا ينفي أن ثمة تداعيات تمخضت عن العلاقات الإيرانية ـ السودانية هي:

(*) التأييد العسكري الإيراني للنظام السوداني، فقد رفع النظام شعار "الجهاد"، ضد التمرد في الجنوب واعتبر الصدام "حرباً دينية"، وسواء كان ذلك وسيلة للحصول على الدعم العسكري الإيراني أو كان نتيجة لهذا الدعم، فإن ذلك لا ينفي الدور الإيراني في هذا الشأن.

(*) مساهمة إيران في بناء جهاز أمني في السودان، هذا الجهاز الذي تشكل من قوات الدفاع الشعبي، وشرطة الأمن، والجناح العسكري (السري) للجبهة القومية الإسلامية، والذي إلية تعزى أغلب حالات القمع وممارسات العنف وانتهاكات حقوق الإنسان، التي شهدتها السودان على مدار عقد التسعينيات، فقد مكنت المساعدات الفنية والتدريبية والأسلحة التي قدمتها إيران للحكومة السودانية، من قمع العديد من الانتفاضات، والتي يذكر منها على سبيل المثال ما حدث في الشمال بسبب ارتفاع معدلات التضخم وما حدث في جبال النوبة.

(*) المساعدات المالية.

وتعد المبادرة الإيرانية للتوسط بين السودان وأوغندا من أبرز المعالم السياسية في علاقات البلدين وذلك انطلاقاً من حرص القيادة الإيرانية على استقرار السودان. ففي 9 سبتمبر 1996وقع السودان اتفاقاً مبدئياً مع أوغندا ـ ساد التوتر في العلاقات بين السودان وأوغندا بسبب نقطتين بالأساس: التدخل في الشئون الداخلية والرغبة في تسويق المشروع السوداني الإسلامي في أوغندا، والثانية تتعلق بالاستفادة من ورقة المعارضة الأوغندية لهز نظام الرئيس يورى موسيفني لتحقيق الهدف الأول والضغط عليه لوقف دعمه للمعارضة السودانية كما تدعي حكومة الخرطوم ـ في الخرطوم برعاية إيرانية خلال زيارة للرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني للعاصمتين. ورغم الوساطة الإيرانية وعقد الاتفاق السابق بيد أن العلاقات الدبلوماسية ظلت مقطوعة بين السودان وأوغندا.

ورغم أهمية هذه العلاقات للطرفين السوداني والإيراني، فإن ثمة تحفظات بشأنها، من أهم هذه التحفظات أن الجانب الإيراني قد انتهج في السنوات الأخيرة أسلوباً براجماتياً، وتعني هذه السياسية البراجماتية أمرين: أولهما تبني منهج التكيف مع المتغيرات وقد نجد ترجمة ذلك في تنشيط قنواتها الدبلوماسية مع كثير من الدول، وذلك في معنى عدم

الاعتماد على ركيزة واحدة أو طرف واحد من ناحية، وأنها لم تعد تعطي أهمية محورية لعلاقاتها بطرف ما من ناحية أخرى. وثانيهما، التخلي عن التشدد، وهنا نلاحظ أن سياستها قد اتسمت بقدر كبير من التريث تحسباً لأي تفسير خاطئ لحركتها أو انتظار لما ستؤول إليه الأوضاع.

أيضاً يأتي ضمن التحفظات أن العلاقات بين إيران والسودان لم تصل إلى حد التعاون الاستراتيجي، وأن إيران تنحو دائما إلى تغليب الحذر في علاقاتها مع السودان، كما أن هناك قيودا كثيرة ترد على هذه العلاقات منها التباين المذهبي كالثورة الإيرانية شيعية المذهب بينما الجبهة القومية الإسلامية سنية الانتماء. ومنها أيضاً عدم وثوق إيران في الجبهة الإسلامية في السودان كحليف رئيسي في المنطقة، فضلاً عن علاقة الجبهة مع العراق (في عهد صدام حسين).

وهناك لجنة وزارية مشتركة بين إيران والسودان تنعقد كل عامين بهدف تأطير التعاون المشترك وقد عقدت أولى دوراتها في طهران عام 1990 فيما عقدت الدورة الثانية بالخرطوم 1991 وعقدت الدورة السابعة في يوليو 2003 بطهران تم خلالها توقيع عدد من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم فيما عقدت الدورة الثامنة بالخرطوم في الفترة من 5 ـ 9 سبتمبر 2004 تم في ختامها التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقيات الحجر الزراعي والتبادل المصرفي ومنع الازدواج الضريبي وقد شملت الدورات الثماني للجنة المشتركة معظم مجالات التعاون في العمران، والطاقة، واستكشاف وإنتاج البترول، السدود، الطرق والجسور، النقل، السكة الحديد، الزراعة وصيانة التربة ومكافحة التصحر، الصناعة والتجارة والاستثمار بالإضافة للتعاون بين وزارتي الداخلية في البلدين. كما أن هناك لجنة سياسية مشتركة للتنسيق والتشاور بين وزارتي خارجية البلدين تعقد اجتماعاتها كل عام بالتناوب، وقد عقدت اللجنة آخر دوراتها السادسة في إبريل 2004 وإبان زيارة الدكتور مصطفى عثمان وزير الخارجية السوداني إلى طهران في أبريل 2002 طرح على نظيره الإيراني إمكانية قيام مشروعات مشتركة بين السودان وإيران وأثيوبيا، وقد بدأ العمل في إعداد الدراسات الفنية لهذه المشروعات إلا أنها لم تر النور حتى الآن.

أما فيما يتصل بالعلاقات التجارية، فقد شملت واردات السودان من إيران المنسوجات والكيماويات والمواد الغذائية ووسائل النقل والمواصلات كما كانت تشمل المنتجات البترولية حتى عام 1991 بينما اقتصرت صادرات السودان لإيران على السمسم الأبيض فقط.

وفي نوفمبر 1997 تم افتتاح مشروع "إيران غاز" برأسمال قدره 8 ملايين دولار، كما تم التوقيع على مذكرة تفاهم عام 2000 بين الخطوط البحرية السودانية والشركة الإيرانية للملاحة إلى جانب التوقيع على اتفاقية في مجال التعاون الزراعي بينما يجري الإعداد للتوقيع على اتفاقية تعاون في مجال النقل النهري. أما في مجال التعاون بالنسبة للقطاع الخاص، فقد تم افتتاح مصنع "الأقصى" للزيوت بمدينة "الجديد الثورة" في نوفمبر 1999 فضلا عن تبادل الزيارات بين رجال الأعمال في البلدين والتي توجت بالتوقيع على إنشاء مجلس مشترك لرجال الأعمال. وتم التوقيع خلال زيارة خاتمي الأخيرة للسودان على اتفاقية للتعاون المصرفي بين قطاعي

البنوك الإيرانية والسودانية وتم توقيع مشروع جديد بإنشاء محطة كهربائية في السودان بطاقة 25 ميجاوات، بالإضافة إلى الاستعانة بخدمات الشركات الإيرانية الفنية والهندسية للعمل في السودان.

4ـ العلاقات الإيرانية ـ السورية

اختتم الرئيس خاتمي جولته العربية بزيارة دمشق، والتي لم تكن مقررة لدى بدئه الجولة وأن اتصالات جرت قبل يومين لترتيب الزيارة. وتعتبر العلاقات الإيرانية ـ السورية "نموذجاً" لما يجب أن تكون عليه العلاقات الإيرانية ـ العربية، ولعل ما يؤكد ذلك وصف خاتمي في تصريحات للتليفزيون السوري العلاقات الثنائية بأنها "ذات روابط قوية وأساسية" وتأكيده على وقوف بلاده إلى جانب سوريا في كل "الظروف والأحوال" وقد بحث الرئيسان الإيراني محمد خاتمي ونظيره السوري بشار الأسد التهديدات الأمريكية للبلدين، خاصة بعد كشف النقاب عن وجود قاعدتين عسكريتين أمريكيتين في العراق، بالقرب من حدود إيران وسوريا.

وقد استحوذت "المسألة العراقية" على حيز كبير من الوقت أثناء مباحثات الطرفين من أجل التنسيق بشأن المؤتمر الذي استضافته القاهرة في نوفمبر الماضي بشأن العراق. كما تطرقت إلى التطورات التي شهدتها الساحة الفلسطينية واللبنانية بما في ذلك القرار 1559 الذي يدعو إلى "حل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية".

وتطرقت الزيارة أيضاً إلى إيجاد وسائل لتطوير المبادلات التجارية وتفعيل الاتفاقيات الموقعة ومذكرات التفاهم في المجالات الزراعية والصناعية والمصرفية والنقل والكهرباء والثورة المعدنية، بالإضافة إلى تعاون مشترك في مجال التنقيب والاكتشاف في مجال النفط والغاز في سوريا.

وفي مايو الماضي، وقع وزير الصناعة والمناجم الإيراني اسحق جهانجيري ونظيره السوري محمد صافي أبو دان في طهران على اتفاقية تعاون في إطار الاجتماع الثالث للجنة التنسيقية للصناعة والمعادن بين البلدين. ووفقاً لهذه الاتفاقية تقوم إيران بإنشاء مصانع للسيارات والزجاج في سوريا، بالإضافة إلى التعاون في مجال الصناعات البتروكيماوية، حيث تمتلك إيران خبرة واسعة في هذا المجال ولعل التعاون الحاصل بين الشركات الأوروبية والأمريكية والشركة الإيرانية المعنية بهذه الصناعة هو دليل واضح على أهمية هذا القطاع.

وفي النهاية يمكن القول أنه في الوقت الذي شهدت فيه العلاقات العربية ـ الإيرانية تحسناً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة عبر العديد من الظواهر والمؤشرات مثل الزيارات المتبادلة (الرسمية وغير الرسمية) والاتفاقيات المشتركة (في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية) واللجان الثنائية والمعارض التجارية، إلا أنه لا يمكن إحداث نقلة في مسار هذه العلاقات إلى في إطار مؤسسي، ومن هنا طرحت فكرة استحداث كيان جديد وليكن "جامعة الدول الشرقية" مثلا ليضم الدول العربية الراغبة بالانضمام وإيران وربما تركيا في وقت لاحق، وهو ما

يتطلب قرار سياسي ومجهودات قانونية لإخراج هذه الصيغة إلى حيز التنفيذ، وقبل ذلك الاتفاق على حدود الإطار الجديد وآلياته.

وبرغم العوائق الموضوعية والذاتية أمام مشروع "جامعة الدول الشرقية" فإن التجارب التاريخية في أقاليم مختلفة قد برهنت على أن التعاون الإقليمي لابد له من كيانات مؤسسية ليرتكز عليها، كما برهنت هذه التجارب أن الإرادة السياسية لو توافرت لكان من الممكن الوصول إلى أعلى درجات التنسيق والتعاون في كل المجالات مثل الاتحاد الأوروبي، الذي يربط بين بلدانه أقل بكثير مما يجمع بين الدول العربية وإيران.

ثروة الإيرانيين بالخارج

صحيفة إيران 6ـ 9/7/ 2004

تعدد إيران من جملة الدول النامية التي تعاني من ظاهرة هجرة النخب والكوادر العلمية المتخصصة إلى الخارج، الأمر الذي يمثل إهدار كبيرا للموارد البشرية والمالية الإيرانية، وتتنوع أسباب هذا الهجرة ما بين أسباب اقتصادية خاصة بتطلع هذه النخب للحصول على ثروات مالية من خلال استثمار أموالهم في الدول المتقدمة، وبين أسباب سياسية تتعلق برغبتهم في الابتعاد عن ساحة الصراعات السياسية في إيران.

وقد أعلن على يونسي وزير الاستخبارات في لقاء مع كبار رجال الأعمال والتجارة الإيرانيين في الغرفة التجارية الإيرانية أن متوسط قيمة رؤوس أموال الإيرانيين المقيمين بالخارج تتراوح بين 600ـ 800 مليار دولار.

هذا الرقم يثير تساؤلا هاما مفاده: ما هو معدل رأس المال الحقيقي الذي خرج من الدولة؟

يمكن التعرف على أحوال الإيرانيين في خارج كالتالي:

1ـ الولايات المتحدة:

يبلغ عدد الإيرانيين المقيمين الآن في الولايات المتحدة أكثر من 3 ملايين نسمة منهم 50% على الأقل ولدوا بها وتصل ثروات الإيرانيين المقيمين في الولايات المتحدة إلى 400 مليار دولار.

هذه الإحصاءات أعلنت منذ ثلاث سنوات في اجتماع ضم وزير الشئون الاقتصادية والمالية السابق مع رجال الصناعة وأصحاب رؤوس الأموال الإيرانيين المقيمين في واشنطن، وهي الإحصاءات التي ثبتت مصداقيتها من جانب هيئة الخريجين الإيرانيين في الولايات المتحدة التي تعرف بـ "ام. آى. تى" فوفقا لهذه الإحصاءات أسس الإيرانيين المقيمون بالولايات المتحدة 280 شركة أخرى، هذا بخلاف توليهم رئاسة أو إدارة ألف شركة أخرى نافذة في المجالات المختلفة.

وتصل نسبة الحاصلين على درجة الليسانس من الإيرانيين المقيمين بالولايات المتحدة 26% ليحتلوا بذلك المرتبة الأولى من بين جملة المهاجرين إلى الولايات المتحدة بالنسبة للتعليم العالي وما فوقه.

من ناحية أخرى، يعمل 43% من الإيرانيين المقيمين في الولايات المتحدة في مواقع مهنية وإدارية مختلفة، ويعمل 25% في القطاعات الفنية والتنفيذية و 10% منهم يعملون في قطاع الخدمات.

2ـ الإمارات العربية المتحدة:

تفيد الإحصاءات الموثقة أن الإيرانيين المقيمين في دولة الإمارات العربية المتحدة يشكلون 23% من إجمالي عدد سكان الإمارات من الأجانب، و 90% منهم يقيمون في دبي، وبذلك يحتلون المرتبة الثانية بعد

العنصر القادم من جنوب آسيا الذي يشغل 50% من الأجانب المقيمين في الإمارات. كما أن أكثر من 40 ألف شركة إيرانية مسجلة في دبي وحدها.

وبافتراض أن الحد الأدنى لرأس مال كل شركة من هذه الشركات هو 100 ألف دولار فإن النتيجة المباشرة هي أن اجمالي ثروة هؤلاء الإيرانيين هي 4 مليارات دولار.

3ـ ألمانيا:

يبلغ حجم رؤوس أموال المقيمين في ألمانيا سواء المنقولة أو الثابتة نحو 43 مليار دولار، أي نحو 50% من جملة ثروات الإيرانيين في بالخارج.

4ـ بريطانيا:

تعد بريطانيا من الدول الرئيسية التي يقيم فيها إيرانيين مهاجرون ويمتلكون ثروات ضخمة، ويبلغ إجمالي ثروة الإيرانيين المقيمين في بريطانيا في أقل تقدير لها 40 مليار دولار.

في الوقت ذاته يوجد إيرانيون آخرون يعيشون في دول أخرى متعددة يمتلكون قدرات مالية كبيرة، حيث يبلغ إجمالي الثروات المالية للإيرانيين المقيمين في كندا، ونيوزيلاندا واستراليا، وفرنسا، وتركيا، بل واليابان عشرات المليارات من الدولارات.

وتكشف هذه التصريحات الأخيرة لعلي يونسي وزير الاستخبارات عن اهتمام خاص من جانب كبار المسئولين في الدولة للعمل على إعادة الثروة المالية والبشرية الإيرانية المهاجرة، وهو الأمر الذي إن أخذ بجدية ـ بالفعل ـ من جانب الحكومة سوف يهيئ المناخ اللازم لعودة الإيرانيين المهاجرين، والمستثمرين، والخبراء، والمتخصصين إلى إيران ووفقاً لقول وزير الاستخبارات فإن عدداً يتراوح بين 200 إلى 300 ألف عقل إيراني ممن ينتمون إلى النخب المختلفة الفكرية والمالية يوجد خارج إيران.

من المؤكد أن طرح هذه القضايا من جانب أحد كبار مسئولي الدولة يعد مؤشراً دالاً على انتهاج سياسة جديدة للتعامل مع قضية هجرة الإيرانيين وضرورة الاستفادة من جميع قدرات الدولة بهدف تدعيم عملية التنمية في المجالات المختلفة خاصة الاقتصادية.

ووفقاً للإحصاءات الصادرة من الإدراة العامة لجمرك إيران فإن حوالي مليون و 374 ألف فرد قد غادروا إيران خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام الإيراني الحالي (مارس ـ يوليو 2004) بزيادة بلغت 19.1% تقريباً عن عدد المسافرين خلال نفس الفترة من العام الماضي.

هذا الأمر يكشف عن اهتمام عدد كبير من الإيرانيين بالسفر إلى الخارج خلال السنوات الماضية. لكن الظاهرة اللافتة للانتباه في هذا الصدر أن عدداً من هؤلاء يفضلون عدم العودة ويظلون خارج الدولة كمهاجرين سواء تم ذلك بشكل قانوني أو في إطار عمليات التهريب المنظمة.

إن الهجرة لا تعتبر ظاهرة حديثة، بل هي موجودة منذ قديم الزمان، لكن ما صار حديثاً الآن هو أن المسيرة التي بدأت منذ زمن طويل زادت

وتيرتها الآن وصارت أكثر حدة خاصة وأنها قد أخذت تجذب العقول والنخب الإيرانية.

ويعيش حوالي 3 ملايين إيراني الآن خارج الوطن، حيث اتخذوا من الخارج مأوى لهم، هذه الهجرة لم تقتصر على طبقة خاصة مثل المستثمرين، المتخصصين والخبراء ولكنها طالت طبقات أخرى أيضاً.

أتباع الطريق العصامى:

وفقا لما ذكرته مجلة صانداي تايمز البريطانية التي نشرت قائمة بأغنى أغنياء بريطانيا يأتي المهاجر الإيراني جاك دلال المعروف بجاك سياه (أي جاك الأسود) في المرتبة الرابعة والستين في تلك القائمة، وهو أغنى إيراني في بريطانيا، حيث قدرت ثروته بـ 590 مليون جنية استرليني ويبلغ من العمر 90 سنة، وهو يهودي الديانة، وقد بدأت ثروته في النمو منذ سبعينيات القرن الماضي وكان جاك دلال قد باع بنك دالتون بارتون الذي كان يملكه بـ 58 مليون جنيه استرليني ثم أخذ يستثمر هذه النقود في شراء العقارات، ومن أنجح صفقاته في هذا المجال شراؤه عمارة بوش هاوس حيث باع هذا العقار بعد ستة أشهر فقط من شرائه في عام 1978 بزيادة في السعر تقدر بـ 75 مليون جنيه استرليني.

وعندما تصل إلى المرتبة رقم 101 في قائمة الصنداي تايمز سوف نجد الأخوين جنكيز أصحاب شركة راتش وتبلغ ثروتهما 400 مليون جنيه استرليني، وهما من أسرة يهودية إيرانية وبعد الثورة هاجر كلاهما مع الأب والأم إلى بريطانيا وغيرا إسميهما إلى روبرت ووينسنت واختارا لنفسيهما اسم جنكيز كإسم رسمي لأسرتيهما.

أما ناصر داود خليلي وهو إيراني يهودي آخر هاجر إلى بريطانيا فيحتل المرتبة 143 في القائمة وتشكل مجموعة من الآثار الفنية الإيرانية ـ الإسلامية الجزء الرئيس من ثروته والتي يقيمها هو بنفسه بأكثر من مليار جنيه استرليني. لكن الصنداي تايمز تؤكد أنه لو باع كل مجموعته الأثرية فإن نصيبه فيها لن يزيد عن 250 مليون جنيه استرليني بعد استبعاد العجز الضريبي الذي يعاني منه. بالإضافة إلى هذا فإن بقية ممتلكاته عبارة عن أملاك وممتلكات نفيسة.

ووفقاً لتقرير الصانداي تايمز فإن جاك دلاك، والأخوان جنكيز وناصر داود خليلي كلا من هؤلاء منفرداً أغنى من ملكة بريطانيا لأن ثروتها لا تتجاوز بأي حال من الأحوال 250 مليون جنية استرليني.

ويحتل السير داود أكيانس المرتبة 198 في القائمة وتبلغ ثروته حوالي 218 مليون جنيه استرليني. ويلاحظ هنا أنه الإيراني الوحيد الذي حصل على لقب سير لأنه استثمر ثروته في صناعة النسيج واختار الإقامة في مانشستر.

مراحل الهجرة من إيران:

يقول الدكتور محمد على زاده أستاذ الدراسات الاجتماعية بجامعة طهران أن "إحدى مراحل الهجرة من إيران (في العصر الحديث) ترتبط بفترة ما قبل الثورة وكذلك بدايات الثورة نفسها ولكنها مختلفة من حيث

ماهيتها وطبيعتها بشكل كامل. آنذاك ـ كما تبين الوثائق ـ فإن عملية الهجرة ضمت التكنوقراطيين، والأقليات الدينية، وأصحاب رؤوس الأموال وهم من الذين كانوا على رأس السلطة في الدولة. آنذاك أيضاً كانت الهجرة تشمل جميع أفراد الأسرة وربما العائلة وقد ظل هذا الوضع قائما حتى بداية الحرب المفروضة (الحرب العراقية ـ الإيرانية)، وأثناء الحرب، تقلص عدد المهاجرين وكانت معظم حالات الهجرة فردية. في هذه المرحلة ظهر نوع جديد من الهجرة. فبسبب الرغبة في الهروب من الصراعات السياسية، الحرب والمخاطر... خاصة الذكور منهم ـ والذي كان يطلب للمشاركة في مراحل القتال المختلفة ولهذا السبب نفسه تراوحت أعمار معظم المهاجرين من 15 ـ 30 سنة. وقد استمر الأمر بهذا الشكل حتى نهاية الحرب".

أما الدكتور محمد همايون فيقول: "مع بداية الثورة حدثت هجرة داخلية وأخرى خارجية، بالنسبة للنوع الأول يمكن القول أن هجرة القرويين أخذت في التصاعد بهدف التوجه نحو المدن وهو ما أفرز أبعاداً ونتائج مختلفة على صعيد القضايا الاجتماعية. طوال هذه الفترة والتي استمرت ربع قرن ـ أي من بداية الثورة وحتى الآن ـ انخفض عدد القرى من 60 ألف قرية إلى 40 ألف قرية فقط، كما انخفض عدد الشباب بالقرى بسبب رغبتهم في الهجرة إلى المدينة الأمر الذي كاد أن يقضي على المجتمع القروي بأسره. أما فيما يتعلق بالنوع الثاني والمتمثل في الهجرة الخارجية فينقسم إلى قسمين رئيسيين القسم الأول خاص بهجرة النخب أو الدارسين، أما القسم الثاني فيتعلق بهجرة عامة الشعب. المؤكد أن هجرة العوام من الشعب ليست خطيرة للغاية، لأنهم ذهبوا إلى الدول الأخرى بقدرات علمية وتخصصات متوسطة فقط بهدف البحث عن فرصة عمل. لكن الأمر المهم هنا يتعلق بهجرة النخب التي تذكر إصطلاحاً بقرار العقول، وقد بدأت هذه القضية تدرس من جانب المجلس السادس بحساسية كبيرة. وقد بلغ الأمر ذروته عندما قام صندوق النقد الدولي في العام الماضي بنشر اسم إيران ـ في إحصاءاته السنوية ـ على رأس قائمة الدول النامية التي تعني من هجرة العقول، ونشر الصندوق في هذا الصدد نفسه إحصائية مفادها أن "القيمة الدولارية للموجة الأولى من هجرة العلماء الإيرانيين في عام 1985 تبلغ الآن 400 مليار دولار".

في هذا الصدد يقول الدكتور على زاده الذي يعد أحد المتابعين الدائمين لعملية هجرة العلماء والنخب: "وفقاً لما نشره بنك المعلومات العلمية للمتخصصين في مكتب الهجرة بالولايات المتحدة فإن 37 ألفا و 362 فرداً من الجيل الأول من المهاجرين إلى الولايات المتحدة هم من الإيرانيين الحاصلين على ليسانس فما فوق، وقد وصل هذا الرقم إلى 220 ألفا في عام 1995، ومن المؤكد أن هذه الأرقام موضع شك لأن أكثر من 230 ألف إيراني كانوا يقيمون في كاليفورنيا وحدها في ذلك العام. لكن إذا سلمنا بهذا التقييم الرقمي الأمريكي فإن ذلك يعني أن 70% من هذا الرقم ـ أي 220 ألف إيراني ـ هم من الحاصلين على تعليم فوق المتوسط فما فوق وهو ما يعد في حد ذاته إهداراً للثورة البشرية الإيرانية لأن تكلفة الفرد وتعليمه في الدول النامية لا تقل بأي حال من الأحوال عن 20 ألف دولار. ووفقاً للمعلومات والإحصاءات الأمريكية ذاتها فإن 5500 طبيب إيراني و

650 متخصصاً في العلوم البحتة والتطبيقية، يعملون ويقيمون في الولايات المتحدة. من المسلم به أن الأعداد التي تذكر في الصحف بشأن هذه القضية تعد في جزء كبير منها جزافية، كما أن هناك تقديرات أخرى تكشف عن هجرات تتم بشكل غير قانوني. لكن استناداً لما ذكر فعلاً من جانب المصادر الدولية في هذا الصدد فإنه من كل خمسة إيرانيين يعيشون في الولايات المتحدة يدخل واحد منهم على الأقل في فئة النخبة أو أحد الكوادر المتخصصة والنادرة وهو معدل يفوق المعدلات الخاصة ببقية الجنسيات المهاجرة إلى الولايات المتحدة، ومما لاشك فيه أن تكلفة العقول الإيرانية المهاجرة إلى الخارج لا تقل عن 200 مليار دولار".

نقلا عن مختارات ايرانية

عدد 52 نوفمبر 2004

مصر وإيران: من التوتر إلى التوتر.. إلى متى؟ !!

د. محمد السعيد إدريس مختارات إيرانية العدد 53 – ديسمبر 2004

القاعدة هي التوتر في العلاقات بين مصر وإيران،على الأقل ابتداء من منتصف القرن الماضي، باستثناء سنوات معدودة أعقبت التحولات التي حدثت في السياسية الخارجية المصرية نحو الولايات المتحدة عقب حرب أكتوبر 1973، تبعها تحسن وتطور في العلاقات المصرية ـ الإيرانية، هذا التحسن كانت له نتائجه على صعيد تطور العلاقات المصرية ـ الإيرانية. وبتوقيع مصر معاهدة السلام مع إسرائيل، التي أعقبت سقوط نظام الشاه في إيران وقيام نظام الجمهورية الإسلامية، عاد التوتر وبعنف إلى هذه العلاقات بعد أن أصدر الإمام الخميني قراره بقطع العلاقات مع مصر، بناء على طلب مباشر من الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، عقابا لمصر على توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل.

أتصور أن لغزا بهذا المستوى يستلزم البحث والتفكير بدلا من الركون إلى قدرية المآل المأساوي للعلاقات بين بلدين إسلاميين شقيقين تجمعهما روابط ووشائج قوية يجب عدم التفريط فيها.

أتصور أيضا أن الأوان قد آن لنسأل: لماذا بقيت العلاقات المصرية ـ الإيرانية مقطوعة ومتوترة طيلة تلك السنوات؟

فمصر هي الدولة العربية والإسلامية الوحيدة التي ليست لها علاقات دبلوماسية كاملة مع إيران، ولكي يستقيم منطق الكلام يجب أن نقول أيضا أن إيران تكاد تكون هي الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي وربما في العالم التي ليست لها علاقات دبلوماسية كاملة مع مصر. كيف يمكن أن يستقيم هذا الحال الأعوج وإلى متى؟ هل ما بين إيران ومصر من الصراع وتناقض المصالح والعداء يتساوى مع ما بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل؟

فالدول تتقارب وتتعاون، وربما تتحالف إما بدافع من وجود منافع ومصالح مشتركة، وإما بدافع من درء المخاطر ومواجهة الأخطار. وقد يحدث التعاون بدافع من تعظيم المنافع والمصالح ودرء ومواجهة الأخطار معا. وهنا نسأل: ألا توجد منافع ومصالح مشتركة بين مصر وإيران تغريهما بتطوير وتحسين العلاقات لدرجة التعاون والتنسيق، ولا نقول التحالف؟ وألا توجد أخطار وتهديدات مشتركة تواجه مصر وإيران تحفزهما للتعاون المشترك لمواجهة هذه الأخطار؟

من الصعب على أي باحث منصف أن يقطع بنفي وجود أي مصالح مشتركة بين مصر وإيران، ومن المستحيل على أي باحث محايد أن يقطع بنفي عدم وجود تهديدات وأخطار مشتركة تواجه مصر وإيران، لكن القضية ليست بهذه البساطة، فالمنافع والأخطار ليست في الدوافع والحوافز للنهوض بعلاقات دولتين أو عدد من الدول إلى مستوى التنسيق والتعاون، هناك عوامل أخرى جانبية لا تقل أهمية، منها مثلا مدى التوافق والانسجام بين النظم السياسية والأيديولوجيات الحاكمة، فالتوافق والتجانس بين

النظم السياسية والأيديولوجيات يشجع على انتهاج سياسات خارجية متقاربة، ومنها أيضا التحالفات والارتباطات الخاصة بكل دولة من الدول فهذه التحالفات قد تضع قيودا على الدول للتقارب رغم تجانس أنظمتها السياسية، ورغم وجود منافع وأخطار مشتركة.

توجد إذن حزمة من العوامل تدفع دولا بعينها إلى التعاون والتنسيق وتوجد أيضا حزمة من العوامل تمنع مثل هذا التعاون والتنسيق، وأحسب أن الأوان قد آن لنسأل مجددا: ما الذي يمنع مصر وإيران من وضع نهاية لتوتر العلاقات فيما بينهما؟

السؤال ليس جديدا علينا، وربما نكون في مركز الأهرام للدراسات لسياسية والاستراتيجية قد طرحناه على أنفسنا مبكراً ضمن مجمل اهتمامات المركز بالمصالح الاستراتيجية المصرية، والفكر الاستراتيجي المصري، لكننا طرحناه بقوة منذ أن تأسست وحدة الدراسات الخليجية التي تعاملت مع نظام إقليمي خليجي يتكون من ثلاثة كتل رئيسية هي: إيران والعراق ومجلس التعاون الخليجي، ومنذ أن تقرر إصدار مجلة مختارات إيرانية كمجلة شهرية صدر عددها الأول في أغسطس 2000، واستهدفت خلق وتطوير ثقافة علمية عربية بالمجتمع والدولة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومنذ أن تم التوقيع على بروتوكول التعاون الأكاديمي بين مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ومعهد الدراسات السياسية والدولية التابع لوزارة الخارجية الإيرانية عام 2000، وهو البروتوكول الذي أرسى قاعدة عقد ندوة سنوية لمناقشة تطوير العلاقات المصرية ـ الإيرانية تعقد بالتبادل بين القاهرة وطهران، وقد عقدت الندوة الرابعة في القاهرة منذ أيام قليلة (27ـ 28 نوفمبر 2004) تحت عنوان: التحديات الإقليمية للاحتلال الأمريكي للعراق.

رغم ذلك هناك دوافع أخرى مستحدثة لتجديد طرح السؤال أبرزها تطورين متناقضين أولهما كان عليه أن يشجع على تطوير العلاقات والآخر أساء إليها بدرجة كبيرة وربما يكون قد انتكس بها لحدود يصعب تصورها.

التطور الأول الإيجابي تمثل في مشاركة إيران بوفد على مستوى عال في مؤتمر شرم الشيخ حيث ترأس الوفد الإيراني الدكتور كمال خرازي وزير الخارجية، كما تمثل في مشاركة مصر، بعد أسابيع قليلة، في اجتماع وزراء داخلية دول الجوار للعراق الذي عقد في العاصمة الإيرانية،وترأس الوفد المصري السيد حبيب العادلي وزير الداخلية في زيارة هي الأولى من نوعها منذ انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام 1980.

في مؤتمر شرم الشيخ تبين بوضوح أهمية الدور الإيراني في إنجاح المؤتمر، كما تبين وجود تنسيق مصري ـ إيراني ضمن مجموعة الدول المجاورة للعراق، وكان توقيع مصر وإيران على البيان الختامي لمؤتمر شرم الشيخ مؤشراً على وجود توافق مصري ـ إيراني على بنود هذا البيان. وتأكد التطور في العلاقات عندما تعمد المسئولون المصريون في هذا المؤتمر ترتيب جلوس وزير الخارجية الإيراني بجوار وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في حفل عشاء بدعوة من وزير الخارجية المصري السيد أحمد أبوالغيط وبالطبع لم يتم ذلك دون علم الوزيرين. وفي اجتماع

وزراء داخلية دول الجوار للعراق الذي عقد في طهران، تم التوافق أيضاً على دور تقوم به هذه الدول في دعم الأمن والاستقرار في العراق، ومن بين هذه الدول مصر وإيران بالطبع.

وبرز، من مجمل تفاعلات هذين التطورين، أن ثمة فكراً يتخلق في المنطقة، وأن هناك تطوراً نحو جعل صيغة الدول المجاورة للعراق وأجندة اجتماعات هذه الدول بداية تأسيسية لمنظومة علاقات إقليمية جديدة، ربما تتطور أجندتها، وربما تتسع عضويتها، لكنها يمكن أن تكون بداية لصياغة نظام إقليمي أو نواة لنظام إقليمي في المنطقة في وقت تسعى فيه الولايات المتحدة إلى تأسيس مثل هذا النظام.

مشاركة مصر وإيران في مجمل هذه الجهود اعتبر خطوة مهمة في مسار تطوير العلاقات المصرية ـ الإيرانية خصوصاً وأنه توافق مع هذا كله معلومات تحدثت عن قيام إيران بتسليم مصطفى حمزة المتهم بتدبير المحاولة الفاشلة التي استهدفت الرئيس حسني مبارك في أديس أبابا عام 1995، لكن حميد رضا أصفي المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية بادر بنفي هذه المعلومات، مؤكداً عدم وجود مصطفى حمزة على الأراضي الإيرانية في أي وقت من الأوقات.

التطور الثاني والسلبي، هو إعلان النائب العام المصري أن القاهرة ستحاكم دبلوماسياً إيرانياً ومواطناً مصرياً قبض عليه في اتهامات بالتجسس وتنظيم هجوم على موقع للبتروكيماويات في مدينة ينبع السعودية في مايو 2003، والإعداد لاغتيالات وتفجيرات تستهدف قطع العلاقات بين القاهرة والرياض.

النائب العام المصري كشف أن الدبلوماسي الإيراني هو ضابط في مخابرات الحرس الثوري الإيراني واسمه محمد رضا دوست. الإعلان عن هذه القضية الاستخباراتية أربك كل توقعات تحسين العلاقات المصرية ـ الإيرانية، واحتمال عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين في وقت قريب خصوصاً بعد تصريحات حميد رضا آصفى المتحدث باسم الخارجية الإيرانية التي وصف فيها الاتهامات المصرية للدبلوماسي الإيراني بأنها "لا أساس لها من الصحة"، وزاد على ذلك بالقول بأن "هذا السيناريو أعد بتأثير من أعداء إيران"، وأن "الاتهامات الموجهة لدوست تأتي في إطار مؤامرة على دول في الشرق الأوسط بما يتمشى مع سياسيات إسرائيل العدائية في المنطقة".

هذه التصريحات متسرعة من ناحية لأن لا أحد يملك تأكيد أو نفي الاتهامات إلا القضاء المصري، وهي من ناحية ثانية تكرار مرفوض لتفسيرات إيرانية ترى أن تعثر تطوير العلاقات المصرية ـ الإيرانية يرجع لضغوط أمريكية.

مثل هذه التفسيرات تتجاوز حدود اللياقة في اتهام القرار السياسي المصري بالتبعية للولايات المتحدة، الأمر الذي يزيد من تأزم العلاقات.

هذه التطورات الإيجابية والسلبية باتت تفرض ضرورة البحث الجاد في أسباب استمرار حالة التوتر الدائمة في العلاقات المصرية ـ الإيرانية، خصوصاً مع وجود قناعة لدى الطرفين بوجود منافع ومصالح متبادلة تشجع

على تطوير هذه العلاقات، ووجود مخاطر وتهديدات تحفز أيضا من الإسراع في هذا التطوير وبالذات المستقبل الغامض للعراق في ظل الاحتلال الأمريكي، والأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وجدية مطالبة مصر وإيران بجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل.

تدرك مصر وإيران أن المستقبل المأمون للعراق يفرض تعاوناً مصرياً إيرانياً، وأن صياغة نظام أمن إقليمي جديد لا يمكن أن يتم دون تفاهم مصري إيراني، وأن الأوضاع الأمنية في الخليج وبالذات النظام الأمني الجديد في ظل الاحتلال الأميركي للعراق سوف تكون على حساب الجميع وبالذات مصر وإيران ودول الخليج العربية.

والبداية المنطقية هي ضرورة الإسراع بتشكيل لجان مشتركة للحوار بين البلدين لبحث كافة القضايا دون انتظار للعودة الكاملة للعلاقات الدبلوماسية ،لجان أمنية مشتركة ولجان سياسية واقتصادية وثقافية مشتركة، مناقشات وحوارات هذه اللجان سوف تبني جسوراً من الثقة المتبادلة،وسوف تضع حدوداً لسوء الظن الذي يبقى التوتر دائماً في العلاقات بين البدلين ويمنح الفرصة لتأويل الأحداث على شاكلة الربط بين كشف أجهزة الأمن المصرية لقضية التخابر تلك والإفراج المصري عن الجاسوس عزام عزام، الذي أتصور أنه أساء كثيراً للعلاقات بين البلدين.

اتهام الجلبي بالخيانية العظمى لتهريبه أسلحة الجيش العراقي إلى إيران وإسرائيل

احمد صبرى الغد 25/1/2005

بغداد ـ (الغد) ـ انتهت وزارة الدفاع العراقية من وضع لائحة الاتهام القانونية بحق أحمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني تمهيدا لعرضها على الجهات القانونية واستصدار أمر بتوقيفه كما تعهد حازم الشعلان قبيل العيد.

وابلغ مصدر مطلع في الدائرة القانونية بوزارة الدفاع العراقية (الغد) أن المستشار القانوني في الوزارة انتهى من إعداد لائحة شاملة تستند إلى عدة اتهامات بحق الجلبي سيقدمها إلى وزارة العدل العراقية والمحكمة الجنائية لاستحصال موافقتهما على مذكرة لتوقيفه ومثوله أمام قاضي التحقيق في بغداد.

وقال المصدر الذي رغب عدم نشر اسمه أن أبرز التهم الموجهة لأحمد الجلبي هي القدح والتشهير بوزارة سيادية واتهامها بالتصرف بالمال العام إضافة إلى اتهامه بالتخابر مع دول أجنبية هي إيران والترويج لسياستها في العراق فضلا عن استلامه ملايين الدولارات من إيران لقاء خدماته لها.

واوضح المصدر أن اللائحة تضمنت اتهامات بالاستيلاء على المال العام وممتلكات ودوائر وزارة الدفاع المنحلة خلافا للقانون ومن دون تخويل من جهة رسمية.

وبين أن من أخطر التهم الموجهة للجلبي تهريب أسلحة ومعدات عراقية ذات قيمة استراتيجية وذات تكنولوجيا عالية تركها الجيش العراقي في معسكراته إلى إسرائيل وإيران مباشرة أو عن طريق الشمال الكردي لقاء مبالغ طائلة ما اعتبرته لائحة الاتهام يرتقي إلى الخيانة العظمى.

وتوقع أن يواجه الجلبي إذا أخذت لائحة الاتهام ضده مجراها الاعتيادي أياما صعبة ومحرجة خصوصا وهو يواصل انتقاداته لرئيس الحكومة العراقية اياد علاوي ويحملها مسؤولية تردي الأوضاع الأمنية.

ورجح المصدر أن يصدر قاضي التحقيق في بغداد مدعوما من وزارة العدل العراقية قرارا باستدعاء الجلبي للمثول أمام قاضي التحقيق للإجابة على الاتهامات الموجهة إليه.

واستنادا إلى الإجراءات القانونية في مثل هذه الحالة فان قاضي التحقيق سيأمر بتوقيف أحمد الجلبي على ذمة التحقيق لأيام أو أسابيع ما سيحرمه من المشاركة بالانتخابات وربما إسقاط اسمه من لائحة الائتلاف الشيعي.

ويرى مراقبون بأن تصعيد وزير الدفاع حازم الشعلان حملته على الجلبي ربما جاءت من إشارات وتشجيع من قوى فاعلة في المجتمع العراقي وأيضا من أطراف في الإدارة الأميركية.

ولم يستبعد المصدر أن تثير لائحة الالتهام لأحمد الجلبي مسؤوليته عن سرقة أموال بنك البتراء الأردني إلى حد المطالبه بتسليمه إلى السلطات الأردنية التي تطالب به على خلفية سرقته ملايين الدولارات من البنك.

المرجعية الشيعية تميل إلى تأييد فيديرالية في الجنوب

البصرة - جعفر الأحمر الحياة 29/1/2005

بدأت دعوة زعيم «المؤتمر الوطني العراقي» أحمد الجلبي إلى إقامة حكم ذاتي في جنوب العراق، تستدرج ردود فعل مؤيدة، لكن أهم المواقف موقف المرجعية الشيعية في النجف.

وأبلغ مصدر مطلع «الحياة» أن المرجعية «تميل ضمناً إلى تأييد الفكرة» طالما أنها تحظى بتأييد سكان الجنوب والأحزاب والقوى الإسلامية الشيعية الرئيسية (المجلس الأعلى وحزب الدعوة)، فضلاً عن المستقلين الذين يحبذون الفكرة أيضاً ويعبرون عن ذلك بخجل، وأحياناً ينتقدونها في محاولة لاحتواء ردود الفعل عليها، في ما يشبه «توزيع الأدوار».

وتركز الجدل حول توقيت الفكرة التي أطلقها الجلبي عشية الانتخابات باعتبارها مناورة، لكن الشيخ منصور الكنعان المرشح المستقل على لائحة «الائتلاف الموحد» أكد أن «من حق الجنوب إقامة فيديرالية على أساس جغرافي وفقاً لما جاء في قانون إدارة الدولة الموقت الذي يجيز لأي ثلاث محافظات إقامة تحالف»، وعبر عن أمله بأن «تساهم هذه الفيديرالية بتحسين مستوى معيشة المواطنين وتوفير الخدمات في الجنوب الذي عانى من حرمان وظلم كبيرين»، مشيراً إلى انه «على رغم ان معظم انتاج النفط يأتي من الجنوب، فإن المواطنين يعانون الفقر والحرمان من الخدمات الاساسية»، مؤكداً «عدم النية على الانفصال أو تقسيم العراق».

إلى ذلك، نفى الكنعان وجود ضغوط من الاسلاميين في البصرة للتأثير في الناخبين أو محاولات لتزوير الانتخابات، ووصفها بأنها «حملة من القوى التي تفتقر الى القاعدة الشعبية لحفظ ماء الوجه استباقاً للنتائج التي قد تأتي معاكسة لرغباتها». وقلل من أهمية المقاطعة، وكشف أن «الحزب الاسلامي» الذي أعلن المقاطعة، يريد المشاركة في لجنة صوغ الدستور والحكومة المقبلة، ولفت الى ان هاتين المسألتين هدف الانتخابات.

وفي المقابل، عبرت قوى وشخصيات سياسية عن رفضها طرح الفيديرالية باعتبارها « مدخلاً لتقسيم العراق». وقال رئيس محكمة الاستئناف في البصرة القاضي ليث عبدالصمد إن الدعوة «سابقة لاوانها، إذ لا يمكن الانتقال فجأة من نظام ديكتاتوري شديد المركزية كان يسيطر على مقدرات الدولة الى نظام فيديرالي». وأضاف ان العراق «في حاجة الى خمس سنوات على الأقل لبناء مؤسساته وعندها يمكن طرح موضوع الفيديرالية، على أن يتم بناء مؤسساتها بالتدريج».

الموصل ولاية الأزمات والأقليات...

زحف يزيدي و«شبكي» الى الصناديق... ومقاطعة عربية

محمد مظلوم الحياة 29/1/2005

ولاية الموصل حكاية أخرى في تاريخ الأزمات الداخلية والإقليمية المتداخلة في العراق. يمتد عمرها إلى ما قبل قيام الدولة العراقية، وهو ما يعزز القناعة بإن الدولة العراقية قامت وسط أزمات عدة كما هي حال إعادة تشكيلها اليوم.

فبعدما استكمل البريطانيون احتلال بغداد، في آذار (مارس) عام 1917، واصلوا زحفهم شمالاً فكانت المدن تسقط في أيديهم تباعاً وبسهولة. وعلى رغم انهيار الجيوش التركية إلا انهم أوقفوا هجومهم لفترة ليست وجيزة عند منطقة الفتحة قرب الشرقاط على مشارف الموصل.

ولم تكن لذلك التوقف أسباب تتعلق بالوقفة التعبوية أو بإعادة التنظيم أو تجديد الزخم الهجومي الذي لم يكن في حاجة إلى المزيد من الإدامة أمام الانهيار الشامل للجيش التركي في العراق. ففي جزيرة «مردوز» في بحر إيجهة كانت ثمة مفاوضات تدور لاستسلام الجيش التركي. وفي أكثر من مكان كانت الإجتماعات السرية التي تتم بين دول «الوفاق الأوروبي» خلال الحرب العالمية الأولى، تسرع في توزيع غنائم المنهزمين الأتراك، كلما تأكدت لقادتهم بشائر النصر.

لكن البريطانيين دخلوا الموصل في نهاية الأمر على رغم هدنة بحر إيجه، وعلى رغم إنها كانت في الأساس تتبع فرنسا أي ضمن المنطقة (أ) كما نصت عليه معاهدة سايكس بيكو، وليس ضمن المنطقة (ب) أو المنطقة الحمراء كما اصطلح على مناطق الغنائم البريطانية - الفرنسية في المعاهدة.

غير ان الأمر لم يقف عند حدود الأبجدية الحروفية والتقسيمات اللونية لحل المشكلة فقد أرسلت عصبة الأمم المتحدة فريقاً خاصاً زار المناطق الواقعة بين الخطوط الحمراء والزرقاء ومكث طويلاً قبل أن يرفع تقريره الخاص بوجوب ضم الموصل الى العراق على أن يبقى الإنتداب البريطاني لخمسة وعشرين عاماً من تاريخ بدء الإحتلال.

ومن اللافت هنا ان العديد من مواطني الضفتين الزرقاء والحمراء آنذاك نقلوا للأجيال اللاحقة مأثورات شفاهية لا تخلو من دلالة عن طبيعة عمل فرق عصبة الأمم في ترسيم الحدود بين الجانبين، والتي كانت تعتمد في ما تعتمده: تقصي ثقافة الطبخ لدى التجمعات البشرية على الجانبين، فكانت تلحق

المناطق التي يعتمد سكانها في شكل رئيس على القمح المجروش (البرغل) في المنطقة (أ) أي سورية، فيما تلحق المناطق التي تعتمد في غذائها على الرز في المنطقة (ب) أي العراق.

لكن هذا التقسيم «الغذائي» لم يتطابق تماماً مع خرائط النفط لدى البريطانيين، الذين أرادوا ولاية الموصل (المعروفة بميل نمط غذائها الأساسي إلى القمح) مهما غلا ثمنها حتى وإن دفعوا بالمزيد من مدن الرز نحو المنطقة الزرقاء (سورية) لينتهي الجدل الاقتصادي الاجتماعي بتنازل فرنسا نهائياً عن الموصل لصالح بريطانيا، وذلك في مؤتمر سان ريمو عام 1920. أما تركيا فرأت أن مجرد احتلال القوات البريطانية للموصل بعد هدنة مدروز، يتيح لها المطالبة بالولاية التي ينبغي أن تلحق بتركيا الجديدة وريثة الحكم العثماني.

من هنا تبرز جذور المعضلات السياسية لهذه الولاية التي لا يمكن اختزالها اليوم في الموصل المدينة، بل بالولاية التي تضم أيضاً مناطق إقليم كردستان ذات الغالبية الكردية التي لا تخلو من مشكلات هي الأخرى.

ومنذ قيام الدولة العراقية مثلت الموصل ذات الغالبية العربية الساحقة رافداً أساسياً لقيادة لقوات المسلحة العراقية وأركانها منذ تأسيسها، ويتسم الضباط الموصليون بمسلكية طيبة وانضباط عال وتاريخ مهني جيد، على غير ما جرت عليه الأمور فترة حكم صدام في تعيين ضباط لقيادة القوات المسلحة ينحدرون من تكريت من دون ان يكون لهم مثل هذا التاريخ.

واليوم تعد عشيرة شمر واحدة من أكبر القبائل العربية في تلك المناطق، وهي تطمح إلى دفع احد أبنائها لمنصب رئيس الجمهورية. فإضافة إلى غازي الياور، دخل شيخ آخر من العائلة نفسها دائرة التنافس على المنصب الأول، وهو يحمل الكنية العربية، وليس اللقب التركي لهذه العائلة. ففواز الجربا الذي انضم إلى قائمة الأئتلاف العراقي الموحد يبدو المرشح السني في القائمة لمنصب رئيس الجمهورية، على إن الهيئة الرئاسية المتوقعة سيجري انتخابها بنظام القائمة الواحدة أيضاً، وليس بترشيح شخصية واحدة عن كل قائمة، ومن هنا لا يمكن الركون تماماً إلى قوة أي قائمة أو نفوذها في تحديد الملامح الدقيقة للتشكيلة الرئاسية المقبلة.

لكن المخاوف من انحسار الإقبال على التصويت في المحافظة تبقى قائمة بوصفها من بين أكثر الأماكن خطورة في الوقت الحالي. من هنا فإن أي إقبال محتمل على التصويت لن يتركز

على الأرجح في مركز المحافظة الثانية من حيث تعداد السكان في العراق، بل سيتناثر في الأطراف، حيث الأقضية والنواحي ذات التجمعات البشرية التي تمثل طيفاً واحداً متماسكاً.

وبما إن الإنتخابات العراقية كما هو واضح، في ملمحها الأساس، تقوم على أساس تمثيل الكتل الإجتماعية، وليس على أسس التنافس الحزبي، فإن هذا الأمر يستدعي إلقاء نظرة تقريبية على تلك الجماعات العرقية والطائفية التي لا تتمتع بتمثيل سياسي ضمن أحزاب وتنظيمات سياسية واضحة المعالم مما جعلها تشتبك وتتداخل مع كتل اجتماعية أخرى قوية لها تنظيماتها التاريخية.

ولعل «الشبك» الذين يتفرقون في أطراف قرى الموصل المتداخلة مع اقليم كردستان يمثلون النقطة الغامضة في فرز تلك الجماعات او إلحاقها عرقياً وقومياً وفئوياً، بهؤلاء القوم أو أولئك. فهم كما تشير تسميتهم جماعة «مشتبكة الأصول» وملتبسه لدى الباحثين المختصين. ولنا أن نتصور الحال عندما يتعلق مثل هذا الأمر بالأحزاب السياسية التي تتطلع إلى استدراج الجميع نحو شباكها؟. فهذه الجماعة التي تعتنق في غالبيتها المذهب الجعفري الإثني عشري، يقدر عددها بمئة ألف نسمة، على أن أعدادها «المستترة» لا تبدو ممكنة الإحصاء نتيجة القمع الذي تعرضت لها خلال مراحل الصراع الصفوي - العثماني والعنف المتواصل الذي مارسته السلطات المتعاقبة على حكم العراق. ولا يكاد «الشبك» ينتظمون في أي توصيف عرقي او قومي او طائفي، أو حتى عشائري، وفي العودة لتسميتهم النمطية سنجد إنها التوصيف الأمثل المتاح لهذه الجماعة الغامضة ليس في أصلها الأنثروبولوجي فحسب، وإنما في مقدار الظلم الذي واجهته كذلك.

فثمة من يلحقهم بالإيرانيين وثمة من ينسبهم إلى السلاجقة وبقايا القبائل التركمانية التي سيطرت على العراق في النصف الأول من القرن الخامس عشر، وثمة من يربط وجودهم في المنطقة بفترة حكم الصفويين الذين احتلوا العراق بعد ذلك. لكن ثمة من يعيدهم أيضاً إلى أصول عربية صريحة تنتهي إلى قبائل طي، بيد أن لسانهم الذي ينطق بلغة تتداخل فيها كل هذه الثقافات، يضفي مزيداً من الغموض والتشابك على القضية برمتها.

ويبدو العسف الذي تعرضوا له متناسباً مع هذا الغموض، فحملات الأنفال التي طالت العديد من القرى الكردية عام 1988، شملت أغلب الشبك، وبالقياس إلى تعداد نفوسهم فإن ما تعرضوا له خلال تلك الحملات يمكن وصفه بنوع من سياسة الإبادة لجماعة بشرية.

كما إن إصدار صدام لقراره الشهير بتغيير القومية إلى العربية في السجلات المدنية سلط بشكل أساسي على «الشبك» في محاولة لحسم النقاش الأنثروبولوجي حول هذه الجماعة معللاً قراره «بوجود حالات موروثة من العهد العثماني».

ومثلما هو حال هؤلاء الشبك، فإن «اليزيدية» هم الجماعة الأخرى التي تسكن المناطق الشمالية وتتركز بشل أساس في قضاء سنجار وقرية شيخان، والتي لا تتمتع بأي واجهة تمثيلية بل نراها اليوم منخرطة كأفراد في قوائم أساسية تحاول إظهار الملامح التعددية للأقليات في تشكيلها. ومثلما هي الحال مع الشبك ايضاً تعرض اليزيديون للكثير من التشنيع العقائدي والتاريخي بدءاً من وصفهم بعبدة الشيطان، وصولاً إلى تهمة معاداتهم للشيعة. ووقوع مثل هذه الأقليات وسواها بين نفوذ قوميتين كبيرتين (العرب والكرد) أدى إلى ذوبان هذه الهويات الضيقة تحت شعارات الوطن الواحد والقومية مما أدى هجرة الآلاف من أبناء الأقليات إلى الخارج، وتوديع فكرة الوطن بمفهومه الجغرافي نهائياً، ولعل هذا واحد من أسباب عدة تفسر انحسار الإقبال على الاقتراع بين العراقيين المقيمين في بلدان أخرى على رغم أن ظروف معظمهم نموذجية تماماً للمشاركة في ممارسة ديمقراطية اعتادوها من حولهم، بل أن كثيرين منهم مارسوها فعلاً في أوطانهم الجديدة!.

وإذا كانت الموصل واحدة من الساحات الدموية في البلاد، والمنطلق لموجات العنف (الثوري) خلال مراحل الصراع السياسي في العراق، فإنها لن تكون اليوم على الأرجح مكاناً نموذجياً للعملية «الديمقراطية» التي تسمح للأقليات في التعبير عن نفسها، وينطبق الحال ذاته على الأكثرية العربية فيها، إذ لن تجد نفسها معزولة عن امتداداتها وفروعها القومية والطائفية في أماكن أخرى في رفضها الانخراط في هذه العملية. وليس من باب التنبؤ القول أن ثمة عاصفة ما قد ترافق الانتخابات ستطيح بالأوراق الانتخابية وأشياء أخرى. عندها يكون للديمقراطية ثمنها برأي البعض، أو تكون عرساً من نوع آخر لدى البعض الآخر.

- كاتب وباحث عراقي.

تصريحات خطيرة

عبدالله أبو رمان الرأي 2005/l/8

التصريحات المفاجئة التي أدلى بها رجل الدين الشيعي اياد جمال الدين، لمحطة "العربية" الفضائية، كانت أكثر من خطيرة وأكثر من مداهمة، إلى الحد الذي اضطر معه مقدم البرنامج إلى تذكير الشيخ بخطورة أقواله، وتنبيهه إلى الضجة السياسية والإعلامية التي ستنتج عنها لا محالة.

والحقيقة أن الشيخ جمال الدين، وهو المفكر الشيعي صاحب الطلة المألوفة على الفضائيات منذ احتلال بغداد.. كان هادئا جدا ومتزنا وهو يدلي بهذه الآراء، وبما أعطى الانطباع بأن حديث الرجل لم يكن "فشة غل" وإنما كان يمثل إصرارا عميقا وواعيا بضرورة "تعليق الجرس"، وتحذير الإيرانيين أنفسهم من مغبة "اللعب" في العراق، وتحويل مأساة الشعب العراقي إلى ورقة سياسية للتفاوض مع الأميركان، وربما لتوظيفها في سياق "مكاسرة الارادات" التي تشهدها المنطقة. وقد أكد الشيخ تحذيره العلني، مستخدما صيغة واضحة جدا عندما قال: إن الإيرانيين "يشترون غضب وحقد العراقيين عموما والشيعة العراقيين خصوصا"!.

ولعل أخطر ما جاء في حديث رجل الدين الشيعي، هو في نفيه صفة الدولة الدينية عن إيران مؤكدا أن النظام الإيراني هو نظام براغماتي، يجيد وعن احتراف أصول اللعب السياسي، ويغلب مصالح بلاده على أي مصلحة أخرى.. وبالتالي، فإن معيار الربح والخسارة هو ما يحكم أداء الدولة الإيرانية وسياساتها وعلاقاتها الإقليمية والدولية.

هذا المستوى من الحديث الصريح والمباشر وعلى السان رجل دين شيعي عراقي كبير وحاضر في الحياة السياسية في بلاده، هو بالضرورة حديث جدير بالقراءة والتحليل، ومحاولة إعادة رسم الصورة للخارطة الانتخابية والسياسية في العراق على ضوئه، خصوصا وان الرجل يتحدث عن دور إيران رئيس ومباشر في الانتخابات العراقية القادمة، وهناك إرادة سياسية إيرانية ترى ضرورة التدخل وحسم النتائج لصالح حلفائها، والهيمنة على الشيعة العراقيين أنفسهم، الذين يتبعون تقليديا إلى مرجعية محلية مستقلة وسيدة، وليست تابعة لأي مرجعية أخرى.. بل طالما كان التنافس صريحا بين المرجعيتين في "النجف" و "قم" على قيادة وتمثيل شيعة العالم.

وعلى كل حال، فإن هذه التصريحات لا تعد اكتشافا جديدا بحد ذاتها، وإنما هي تأكيد لتحليلات ومعلومات سبق وأن تناولها سياسيون ومحللون، حذروا من خطورة الدور الإيراني في العراق، في حين تكمن أهمية هذه التصريحات والآراء بالنظر إلى شخصية صاحبها ومكانته داخل أوساط الشيعة العراقيين.. وربما هي المرة الأولى التي نسمع فيها صوتا شيعيا عراقيا بمثل هذه الجرأة والصراحة في نقد الأداء الإيراني إزاء القضية العراقية، بما يعني أن ثمة ما هو جديد وخطير دفع الشيخ لاطلاق صيحته.. وعلى قاعدة "طفح الكيل".

وبعد، فربما سيجد الأستاذ حسنين هيكل في لقائه الجديد على فضائية "الجزيرة" فرصة ثمينة للرد على الشيخ جمال الدين، واتهامه بالعمالة للاميركان والتواطؤ على تدمير العراق، وسيكون حريا بالأستاذ هيكل، أن يعيد قراءة موقفه ويعيد النظر بآرائه، وقد يكون لدية متسع كاف للتراجع.. أو مواصلة الهجوم على كل من يحذرون من خطورة إفقاد العراق لعروبته وسيادته الوطنية.

جهاد القرن الحادي والعشرين

سميح المعايطة - الغد 21/01/2005

مدهش وعجيب ذلك التفسير الذي قدمه احد المحسوبين والمقربين من المرجعية الشيعية السيستاني لموقف المرجعيات من الاحتلال الامريكي للعراق, واعتبر ان الصمت وعدم مقاومة المحتل يستند الى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام الذي لم يقاتل المشركين في مكة, وقدّم هذا المقرب هذا التبرير معتقدا ان الناس على درجة من السطحية لتنضم الى معسكر مهادنة الاحتلال, وكأن دخول قوات العدوان والاحتلال الامريكي الى العراق وقتلهم الناس وتدمير البيوت ونهب المقدرات يشبه موقف الرسول الاعزل في مواجهة حالة شرك اجتماعية في مكة, ونسي ان سنوات مكة كانت لدعوة اهلها ومحاولة استنفاد الوسائل الدعوية لاهل بلدته, ولم تكن احتلالا عسكريا بإطار عقائدي من التيار المسيحي المتصهين في الولايات المتحدة.

وحتى لو سمحنا بهذا المنطق وقبلنا مبدأ عدم المقاومة فكيف نفسر المشاركة السياسية والدعم السياسي الذي قدمته المرجعيات بثقلها للاحتلال, وأضفت شرعية على مؤسسات الاحتلال, وحتى لو تجاوزنا هذا الامر فكيف نفسر المشاركة العسكرية من قوات ميليشيا المرجعيات للقوات الامريكية في عدوانها على الفلوجة او ما مارستها بحق اهلها المجاهدين من قتل وتشويه وحرق وتشريد لآلاف العائلات العراقية.

وهذا الشخص المقرب الذي كان يتحدث على احدى الفضائيات يمثل تيارا دينيا سياسيا يبرر التحالف العسكري مع قوات الاحتلال لمحاربة من يسميهم الارهابيين, وهؤلاء الارهابيون هم من يمارسون المقاومة الحقيقية للاحتلال الامريكي, ويثبتون للعالم ان في العراق قوى حية ترفض ان تتحول الى كومبارس سياسي لقوة تحتل ارضها وتقتل شعبها, وانها لا تمارس مقايضة المصالح وطنية عليا مقابل مكاسب فئوية او للتنفيس عن احقاد يختلط فيها السياسي بالطائفي والعرقي.

ومدهش ان يستمر البعض في شتم نظام صدام على ما يسمى المقابر الجماعية بينما لا نسمع من هذه الاطراف ادانة للمجازر الجماعية التي ارتكبتها قوات الاحتلال الاميركي وشركاؤها ضد اهل الفلوجة, وما قرأه الناس عن مئات الجثث التي تم حرقها وتدمير البيوت عليها, فهل مجازر صدام التي مضى عليها سنوات وسنوات امر مخالف للقانون ومجازر امريكا واصدقائها تجد التبرير والقبول لدى المتباكين على مجازر محل خلاف؟! وهل من يقاوم الاحتلال ارهابي بينما من يخرج على نظام حكم دولته بإيعاز من دول اخرى شهيد وصاحب حق؟!

لعل من اهم ما كشفته واكدته سنوات الاحتلال للعراق ان الدين لدى بعض الفئات ليس اكثر من اطار لخدمة اهداف فئوية وطائفية, وان التعصب لهذه الاهداف اهم بكثير من الالتزام بالثوابت الدينية الاساسية التي في ادناها رفع الظلم ومقاتلة المحتل, والقصة الاساسية ليست لدى التنظيمات العراقية ذات

المرجعيات بل لدى ايران التي ثبت انها دولة براغماتية فارسية وليست حاملة مشروع اسلامي.

مستقبل العراق ... ومستقبل السُنة

خالد أبو ظهر الوطن العربي ـ العدد 1452ـ 31/12/2004

الانتخابات العراقية صارت على الأبواب، وكلما اقتربت ترتفع وتيرة العنف ومستواه. ومهما قلنا، فإن الإصرار الأميركي على إجراء الانتخابات في موعدها له هدف وحيد، وهو إظهار أن العملية السياسية في العراق تتقدم، رغم الواقع الموجود على الأرض.

وفي الحقيقة أن الأوضاع غير مناسبة إطلاقاً الآن لإجراء الانتخابات فمن الواضح أن التدخل الخارجي قائم، كما أنه من الصعب ـ بوجود قوات احتلال ـ أن يتمكن العراقيون من التعبير عن إراداتهم الحقيقية بحرية. فالأميركيون يحتلون العراق، وهذه حقيقة لا يمكن تجميلها، والإيرانيون يتدخلون في العراق، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. وفي هذا الوضع الشائك، يزداد الانقسام بين فئات الشعب العراقي، وخطوة بعد خطوة تعتمد كل فئة على قوة خارجية تدعمها.. وهكذا يتحول العراق تدريجياً إلى ساحة لحروب بالوكالة بين أطراف خارجية.

والسؤال الذي يجب الإجابة عنه قبل إجراء الانتخابات هو: هل هناك إرادة لتحميل السُنة العرب في العراق مسؤولية الممارسات التي حصلت تحت حكم صدام حسين؟ ومع اقتراب موعد محاكمة الرئيس المخلوع، فإن الانتخابات إذا جرت في ظل إرادة تميل إلى تحميلهم المسؤولية، فإنها لن تكون انتخابات بمقدار ما ستكون محاكمة للسُنة العرب ككل. ونحن نعرف أن بعض القيادات الشيعية أطلقت تصريحات تدعو إلى استغلال الظروف حتى يتمكن الشيعة من الاستئثار بحكم العراق على حساب السُنة، بحجة تعويض سنوات القهر السابقة. ونحن نعرف أن نظام صدام ارتكب أعمالاً شنيعة بحق الأكراد والشيعة، ولكن هذه الأعمال لا تبرر إرادة استبعاد السنة من أن يكون لهم صوت قوى في حكم العراق فالنتيجة لن تكون لصالح الاستقرار في العراق.

والمطلوب من رئيس العراق ورئيس وزرائه أن يوضحا هذه النقطة جيداً، وأن يتبنيا طريقة لإتاحة الفرصة لكل العراقيين، بمن فيهم المقاتلون السنُة الذين يحملون السلاح، وذلك حتى يتأكد هؤلاء المقاتلون أنهم يملكون حصة في مستقبل العراق الجديد.

وإذا لم يتحقق ذلك، فإن الانتخابات ستكون حكماً على السنة العرب في العراق، مما يعني حكماً استمرار العنف وتصاعده، وتوسعه إقليمياً إلى حدود لا يمكن تصورها.

البحرين: اعتصامات ومسيرات لمعالجة الوضع الدستوري

مهدي ربيع الحياة 6/1/2005

أرسلت «جمعية الوفاق الوطني» الإسلامية، كبرى جمعيات المعارضة والواجهة الرئيسية للتيار الإسلامي الشيعي في البحرين، إشارات جديدة إلى السلطة بشأن استخدام التحالف الرباعي المعارض «وسائل ضغط جديدة» تتمثل في عريضة شعبية واعتصامات ومسيرات «لمعالجة الوضع الدستوري».

وكانت «الوفاق» عقدت أمس مؤتمرها الثاني حول «التنمية المستدامة في البحرين» بمساندة حكومية، ومشاركة رئيس وزراء لبنان الأسبق سليم الحص والمفكر الكويتي محمد الرميحي، وحضور عدد من سفراء وممثلي سفارات دول عربية وغربية في مقدمها أميركا وبريطانيا وفرنسا.

ولوحظ حضور رسمي بارز في المؤتمر، تمثل في وزير العمل والشؤون الاجتماعية مجيد العلوي وشخصيات رفيعة من الديوان الملكي وديوان ولي العهد.

غير ان ذلك لم يمنع رئيس الوفاق الشيخ علي سلمان من التذكير بأن المؤتمر الأول في العام الماضي واجه «حملة رسمية لمنع إقامته»، مضيفاً ان «الهدف الذي كنا نتبناه أضحى موضع قبول لدى غالبية المؤسسات الرسمية والأهلية».

وأشار إلى ان جمعيته وبقية أطراف التحالف الرباعي المعارض نجحوا في إبراز المشكلة الدستورية، وفرض الحوار حولها، مؤكداً «سنبذل مزيداً من الجهد في هذا الشأن مستخدمين كل وسائل الضغط، بما في ذلك ورقة العريضة الشعبية، للوصول إلى توافق وطني حول الدستور».

وكشف ان قراراً بخصوص آلية تسليم عريضة وقعها نحو 70 ألفاً من جمعيات التحالف الرباعي حول التعديلات الدستورية، سيتخذ خلال الأشهر القليلة المقبلة، مشيراً كذلك إلى ان المعارضة قد تتبنى آليات سلمية أخرى كالاعتصامات والمسيرات بعد المؤتمر الدستوري الثاني في العاشر من شباط (فبراير) المقبل. وهي المرة الأولى التي يتحدث فيها الشيخ سلمان عن إمكان اعتماد المعارضة خيار الاحتجاجات في الشارع.

ولاحظ سلمان انه «رغم الكثير من الإخفاقات والتراجعات في المشروع الإصلاحي لعاهل البحرين، فان هناك قناعة بأن المؤمنين بالإصلاح قادرون على تصحيح المسيرة ودفعها إلى الأمام عبر مزيد من النقلات السياسية الواعية، ومن خلال القوى التي تمد يدها لتصافح من يؤمن ويعمل لتحقيق شعارات جلالة الملك الخاصة بإنشاء ملكية دستورية على غرار الملكيات العريقة».

وطالب المعارضة بمزيد من العمل للتصدي لقضايا البطالة والفساد المالي والإداري والتجنيس السياسي والتمييز ، كما دعا إلى الضغط المستمر «بمختلف الوسائل على صانعي القرار لتصحيح السياسات الخاطئة».

من جانبه اعتبر رئيس وزراء لبنان السابق سليم الحص الذي حلّ ضيفا على المؤتمر ان «مطالبة الحكام العرب بالإصلاح، هي بمثابة مطالبتهم بالانتحار»، وبّرر ذلك بصعوبة تنازلهم عن صلاحياتهم. وشدّد على إصلاح بـ«مشاركة وإرادة شعبية وليس من خلال مزاح الحاكم».

واعترض الحص على منطق اليأس الذي تحدث به بعض المشاركين، داعيا إلى عدم الاستسلام للواقع، والتحلي بـ«الأمل» في خصوص الإصلاح.

وتحدث عن العراق قائلاً إنه «في محنة إنسانية جامحة تتوالى فصولها وسط غيبوبة عربية وفجور دولي تدار دفته تحت راية الحرية والديموقراطية، وتحت ذريعة مكافحة الإرهاب»، مضيفاً: «قضيتنا هي تحرير فلسطين من الاستعباد الصهيوني وتحرير العراق من رجس الاحتلال الغاشم».

حركة الردة في البحرين بين الأهداف الدينية المحضة والطابع السياسي

راجعه ـ زياد العناني الغد 18/1/2005

"هذا المقال نموذج للتفسير الجديد للتاريخ الإسلامى على أسس طائفية شيعية وهو يأتى ضمن تيار القراءات المنحرفة للتاريخ الإسلامي كالقراءة الماركسية للتاريخ الإسلامى" الراصد

يتساءل الباحث البحريني حسن سعيد سيد مرزوق في كتابه "حركة الردة في البحرين" الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع مركز الجلاوي للدراسات والبحوث وهو بصدد البحث في الردة بعد رسول الله هل كان جميع الخارجين آنذاك مرتدين؟ وهل وراء حروب الردة أهداف ذات طابع سياسي؟ أم أنها أهداف دينية محضة؟ وهل للصحابة مواقف متباينة إزاء هذه الحروب؟ وما دلالة ذلك؟

ويرى الباحث مرزوق أن هذه التساؤلات تستحق الطرح ومحاولة الإجابة عنها خصوصا أن معظم الكتابات التاريخية التي نقلت أحداث الردة لم تجهد نفسها بالسعي إلى الإجابة عن مثل هذه التساؤلات فنقلت أحداث الردة دون غربلة أو تمحيص وكانت تنتصر ـ غالباً ـ لرأي فريق في الصراع دون اعتبار للرأي الأخر.

كما يرى الباحث مرزوق أن حروب الردة تحتاج إلى دراسات علمية تستجلي حقائقها وتسعى للتعرف إلى طبيعة ما جرى فيها. ويتطرق الباحث مرزوق إلى الردة لغة واصطلاحا حيث جاء في تاج العروس: الردة "بالكسر: الاسم من الارتداد وقد ارتد وارتد عنه: تحول ومنه الردة عن الإسلام أي الرجوع عنه معدداً ما ورد في الموسوعة الفقهية حول الردة في الإصلاح وهي: كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه ومقسماً إياها إلى أربعة أقسام هي: ردة في الاعتقاد: كالشرك بالله أو جحده أو نفي صفة ثابتة من صفاته. وردة في الأقوال: كسب الله أو سب الرسول. وردة في الأفعال كالسجود للشمس أو القمر وردة في الترك: كترك الصلاة أو الزكاة جحوداً لها لأن ذلك من المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة.

كما يتطرق الباحث مرزوق إلى ثبوت الردة بالإقرار أو بالشهادة حيث تثبت الردة عن طريق الشهادة بشرطين: شرط بشاهدين في ثبوت الردة وتفصيل الشهادة حيث يجب التفصيل في الشهادة على الردة بأن يبين الشهود وجه كفره نظراً للخلاف في موجباتها وحفاظا على الأرواح.

ويبحث مرزوق في أسباب الردة مشيرا إلى أنه لمن التبسيط المخل بالحقيقة الادعاء بأن حركة الردة انطلقت نتيجة لعامل وحيد وهو الارتداد عن الدين والرغبة في العودة إلى أيام الجاهلية الأولى على الرغم من أن هذا الدافع كان له دوره في جزء معين من هذه الحركة مبيناً أنه قد كان لهذه الحركة عوامل عدة تضافرت جميعها وساهمت في إرباك هدوء الواقع المسلم وسكينته آنذاك.

ورغم أن عنوان الردة أطلق على جميع المساهمين في هذه الحركة إلا أنه كان من الواضح اختلاف دافع كل فئة عن الأخرى فهناك من كفر بالصلاة وهناك من منع الزكاة أما من كفر بالصلاة فوصفه بالردة لا جدال فيه لأنه كفر بمسلمة من مسلمات الدين وأما من منع الزكاة فهناك من منعها ظنا من أنها علامة للتبعية والضعف حيث الضعيف يعطي أمواله للقوي وهناك من منعها رفضا لما آلت إليه سقيفة بني ساعدة من إعطاء الخلافة لأبي بكر وحجبها عن علي بن أبي طالب اللاحق بها. ويستشهد الباحث مرزوق بما قاله د. إبراهيم بيضون: أن لحركة الردة اكثر من خلفية لا تبدو بالضرورة متجانسة ولكنها تضافرت مع بعضها وأدت إلى تفجير الوضع وحدوث ما حدث وهذا يعني أن الردة "الكلمة المتداولة" لا تأخذ بعدها الشمولي لدى جميع القبائل الرافضة لسيادة المدينة لأن بعضاً منها كانت تحركه دوافع سياسية أو اقتصادية لم تصب مطلقاً جوهر العقيدة ولكن غالبية القبائل قد ثارت على الأرجح تحت ضغط عوامل إيمانية موصولة في الوقت نفسه وبشكل باطني بعوامل سياسية.

ويشير الباحث مرزوق إلى أن التنوع في أسباب الحركة واضح المعالم لدى أبي بكر ولكنه رغم ذلك لم يشأ أن يميز بين دافع وآخر بين الكفر بالصلاة ومنع الزكاة ووصف الجميع بوصف واحد وهو الارتداد مشيراً إلى أن أبا بكر كان على علم بوجود قسمين لهذه الحركة وهما من كفر بالصلاة ومن منع الزكاة ومبينا أن عمر بي الخطاب ورغم تميزه بالشدة إلا أنه استطاع أن يلحظ الفرق بين الفريقين في الدوافع وبالتالي في أسلوب المواجهة ولم يستوعب فكرة المواجهة المسلحة لكليهما من التمايز في الدوافع في أسلوب آخر للضغط على أبي بكر جاء عمر بن الخطاب بحديث للرسول يؤيد مدعاة عله بذلك يستطيع ثني أبي بكر عن المواجهة المسلحة مع مانعي الزكاة.

ويؤكد الباحث مرزوق على أن إصرار أبي بكر على المواجهة المسلحة رغم المؤاخذات عليها كان دافعها ـ كما يبدو ـ القضاء على كل تمرد قد يشم منه الاعتراض على تنصيب أبي بكر خليفة للمسلمين أولا وشغل الرأي العام المدني بحادثة خارج المدينة تخفف من وطأة النقاش حول شرعية الخليفة الجديد وأهليته وتوجه الناس نحو مشكلة أهم في نظرهم وهو الإسلام كدين ثانيا.

فريد اياز: "القوالي" موسيقي روحانية تجعلك تستشف أعماقك

مدني قصري الدستور 30/ 1/ 2005

تحت رعاية السفارة الباكستانية في عمان أحيت أول أمس فرقة "القوالي" للغناء الصوفي بفندق راديسون ساس حفلا غنائيا حضره عدد كبير من المدعوين والمدعوات تخلله حفل عشاء وانتهى بتوزيع عدد كبير من الجوائز على الفائزين في السحب على البطاقات.

إن عبقرية أغاني فرقة القوالي الصوفية أنها تغرق السامع في روحانية تلقائية لما تجمله من معان ربانية سامية يتأثر بها كل واحد حتى وإن لم يفهم كلماتها.

لذلك فقد لقيت الأغاني العشر التي عزفتها على مدى قرابة الساعتين الفرقة الباكستانية المكونة من تسعة أعضاء ـ وكلهم من عائلة واحدة ـ بقيادة فريد أياز قوال، تجاوبا عميقا من الحاضرين الذين أطربتهم أغاني الفرقة التي كانت أقرب إلى المديح الديني منها إلى الغناء رغم إيقاعاتها السريعة، فتناغموا معها كثيرا وصفقوا لها بلا انقطاع!

وقد تناولت هذه الأغاني الروحية التي اختلط فيها الشعر الإسلامي العربي بالشعر الباكستاني الأوردي مواضيع روحية صرفة وابتهالات في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والإمام علي كرم الله وجهه وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وقد التقينا رئيس فرقة القوال فريد اياز بعد انتهاء الحفل الساهر وكان لنا معه هذا الحوار.

- **هل ارتبط إحياء هذا الحفل بمناسبة خاصة؟**

ـ لقد جاء هذا الحفل في سياق تقاليد سفارتنا الحريصة على توطيد التواصل والإخاء بين الباكستان والأردن الشقيقين، وبين الباكستان وأبنائها في هذا البلد الجميل.

- **ما هو غناء القوال؟**

ـ إنها موسيقى صوفية خالصة تجعلك تغوص في أعماق روحك وصفائها لتقربك

بخالقك وتطهر روحك وتوقظ القيم السامية فيك.

- **من هو مؤسس هذا الفن؟**

ـ مؤسس فن القوالي الأول في الهند هو الشاعر "أمير خوسرو" وقد نقل هذا الفن إلى تلميذه "صامت بن إبراهيم" الذي يعتبر رائدا في نشر هذه الموسيقى الروحية في الهند منذ أكثر من 950 عاما. وقد ورث عنه هذا الفن رضي الدين أحمد. ومن أبرز رواد القوال

المعاصرين منشي رضا الدين الذي تبنى فرقة القوال لأكثر من 65عاما.

- **الشعر الديني هو أساس أغنية القوالي الصوفية قديما وحديثا. هل الأغنية الصوفية تستمد روحها من الشعر القديم وحده أم أن ثمة تجديدا؟**

ـ الفرقة تغني القديم والجديد معا.من الشعراء القدماء "عبد الرحمن الجامي" و"الخسرو" و "السعدي" و" عبد القادر حافز" ومن المعاصرين "الدكتور علامة إقبال" و"الزهين شاه التاجي" و "أسد الله خان" و " خواجة مير درد" و "فياز قادري" وغيرهم كثيرون.

- **ما اسم الآلات الموسيقية التي تستعملونها؟**

ـ إننا نستخدم بشكل رئيسي آلتين رئيسيتين هما الطبلة والهارمونيوم. لكننا أحيانا وللضرورة نطعم الألحان بآلات تقليدية أخرى كالمزمار مثلا. وتشتمل أغانينا الدينية على 16 طريقة غناء تشمل الطبوع الباكستانية والهندية والإيرانية والتركية.

- **ما معنى الأغنية الصوفية وما هدفها؟**

ـ القوالي موسيقى روحية خالصة تجعلك تغوص في أعماق روحك لتستشف المعاني الربانية الكامنة في جوانيتك وتقترب من قيم التوحيد التي زرعها الخالق فينا. فالكلمات مستوحاة كلها من الشعر الصوفي ومن كلمات السلف الصالح.

- **ملاحظ أن غناء القوالي كثير الإيقاع.. هل الرقص جزء مكمل للأغنية الصوفية الروحية؟**

ـ أجل، لكن الروح هي التي ترقص وليس الجسد. وإن تحرك الجسد فبإيقاعات روحية صرفة. هذا ما يحس به كل من يستمع إلى غناء القوال. إنه الإنجذاب والنشوة، وإن شئت فإنه الرقص بالذكر.

- **ما هو موقف رجال الدين في باكستان من أغاني القوالي؟**

ـ إنهم يعشقون هذا اللون من الغناء ويقبلون عليه بحماس كبير ويشجعونه كثيرا، ناهيك عن أن إقبال عامة الناس عليه منقطع النظير لما يجدون فيه من نشوة روحية وراحة نفسية عميقة. لأن القوالي حديث الروح أولا وأخيرا.

- **ما مدى انتشار القوالي في العالم؟**

ـ القوالي فرق منتشرة كثيرا في أكثر من موطن، لا سيما في باكستان والهند وأفغانستان وتركيا وإيران وغيرها. والقوالي فن ينتقل من شخص إلى شخص وبالوراثة ولذلك فهو لا يعتمد على مدارس أو معاهد. وتظل فرقتنا هي الأصل والمرجعية في انتشار هذا الفن الروحي العريق عبر العالم.

- **أين غنت فرقتكم؟**

ـ لقد أحيت فرقتنا سهرات في كثير من بلدان العالم، في كافة البلدان العربية شرقها وغربها بلا استثناء ومنذ سنوات طويلة وإلى الآن. وتجد أغانينا صدى عميقا في بلدان الخليج خاصة، وهنا يسعدني أن أذكر أن تلفزيون العربية السعودية قدم يوم وفاة المرحوم جمال عبد الناصر مقطوعات من أغاني القوالي.

- **ما انطباعاتك عن جمهور الأردن الذي شهد عروضكم في هذه الليلة؟**

بكل الصدق أقول إنني وأنا أنشد مقطوعاتي رأيت أرواحهم وهي ترقص على أنغام وإيقاعات الفرقة. لأن القوالي رسالة إلى ابن آدم من أجل السلام ومحبة الله ورسوله الكريم.

- **هل يفهمكم الناس وانتم تغنون بلغات لا يفهمونها؟**

ـ أغنيتنا روحية وكل الناس يستوعبونها، لأنها تخاطب قلوبهم وأرواحهم وليس عقولهم. فقد عشنا التجربة مع أشخاص من ديانات مختلفة. وكان التأثير واحدا عليهم جميعا. فالكل يشهد أن روحهم قد ارتجت وأن نفوسهم قد اقشعرت لسماع أغنية القوالي، والكل أحس بالنشوة الروحية العميقة. هذه هي أغنية القوالي، وهذه هي رسالتنا في المحبة والسلام وإيقاظ الروح الربانية الكامنة في أعماق كل واحد منا. ونحن سعداء بذلك أيما سعادة.

لمصلحة من الشائعات بأن أبو مازن بهائي؟!

غازي السعدي **الرأي 6/1/2005**

" تابعت الراصد موضوع بهائية أبو مازن ولم تصل لأدلة تثبت ذلك ، وكل ما نشر في الموضوع ليس فيه للحقيقة دليل على ذلك ! ولكن تبقى لدينا قضيتان تحتاجان مزيد من التوضيح هما : ما هي المصلحة الإسرائيلية في ترويج بهائية أبو مازن ؟ والثانية ما مدى صلة أبو مازن بمدينة صفد ؟ هل هو من أبنائها أم من ساكنيها ؟ من أي عائلة أبو مازن ؟ من هم أهله و أقاربه ؟؟ " الراصد

الحرب النفسية، وحرب الشائعات، التي تشن بين دولة وأخرى، خاصة أثناء الحروب أو الحرب الباردة، وحتى في الصراعات السياسية، هي جزء من المعركة، فكل جانب يحاول كسب المعركة، سواء كانت عسكرية أم سياسية، وهناك حرب الشائعات، التي تستهدف الأشخاص أو الشخصيات، التي تتبوأ اتجاهات سياسية أو مواقع قيادية في المجتمع.

منذ سنوات، تروج شائعات للنيل من السيد محمود عباس "أبو مازن" بصفته الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية، والتهمة الرائجة تتلخص بالادعاء بأن "أبو مازن" ينتمي إلى الطائفة البهائية، والمقصود من وراء هذه الترويج، النيل من شخصيه، وضرب قاعدته السياسية والاجتماعية، بعد أن عجزوا على وجود تهمة للنيل منه.

"أبو مازن" الذي يعتبر الرجل الثاني في القيادة الفلسطينية وأصبح وسيصبح الرجل الأول بعد وفاة الرئيس الراحل "أبو عمار"، وتعزيز قيادته بعد الانتخابات لرئاسة السلطة الفلسطينية، فإنه لا يكترث ولا يبدي اهتماما بهذه الشائعات المغرضة، لأنه واثق من نفسه، ومن انتمائه العربي والإسلامي، لكن هذه الشائعات تتكرر حاليا في أحلك الظروف السياسية التي تتعرض لها القضية الفلسطينية في محاولة للنيل من شخصيته في معركة الرئاسة.

إنه رجل صريح وصادق مع نفسه، يقول ما يؤمن به في الحاضر وفي الماضي، وأثناء المعركة الانتخابية، فإنه لا يخفي موقفه بأنه ضد عسكرة الانتفاضة، وضد فوضى السلاح، التي تمس بالفلسطينيين أيضا.

الحرب النفسية، والشائعات التي تستهدف "أبو مازن"، لم تقتصر على خصومه السياسيين من أبناء جلدته، بل سبق أن شارك بها رئيس الشاباك السابق "شبتاي شبيط" بصورة فعلية في الحملة على "أبو مازن"، واتهامه بالبهائية، ففي مقابلة صحفية أجرتها جريدة "يديعوت أحرونوت" مع "شبيط"، قال بأن احتمالية خلافة "أبو مازن" للرئيس "ياسر عرفات" تشبه احتمالية إسناد رئاسة الدولة الإسرائيلية، لأحد أبناء الطائفة السامرية، ومع أن شبيط سبق أن وعد بالاعتذار لقراء الجريدة، وليس "لأبي مازن"، إذا كان قد ضلل هؤلاء القراء، إلا أنه لم يعتذر.

جريدة "هآرتس" قامت بإجراء تحقيق حول اتهام "أبو مازن" بالبهائية، ونشرت هذا التحقيق على صفحاتها بعد أن تبين لها، بعدم وجود أية أدلة في

شعبة الاستخبارات الإسرائيلية، ولا في شعبة الأبحاث التابعة لوزارة الخارجية حول بهائية "أبو مازن".

في اتصالات بين شخصيات إسلامية مع مركز البهائيين في حيفا، وهو المركز الرئيسي لهذه الطائفة، نفى المسؤولون في هذه المركز بهائية "أبو مازن"، كما أفادوا بان ليس له أية قيود تشير إلى انتمائه للطائفة البهائية.

البروفيسور موشية شارون المتخصص في الديانه البهائية أكد أنه لا يمكن ولا يجوز لسياسي فلسطيني أن يكون بهائيا، وأن المجلس البهائي لا يقبل بضم سياسي فلسطيني إلى الطائفة البهائية.

"أبو مازن" الذي لا يكثر الحديث في هذا الموضوع وهذه الافتراءات، كان لا بد له من إرسال رسالة شكر، لكاتب مقال في جريدة "هآرتس" الذي دحض اتهامات "شبيط" فكتب له أبو مازن: "أود أن أعبر لك عن امتناني لمقالك ونفيك للأكاذيب المتعلقة بانتمائي للديانة البهائية، وأن مقالك أثار الرضا في نفسي سواء كشخص، أو كشخصية عامة، وأشكرك لكشفك النقاب عن الكذب الذي يقف وراء المحاولات الشريرة، لإثارة الشكوك حول انتمائي الديني".

محمود عباس "أبو مازن" من مواليد عالم 1935 في مدينة صفد الفلسطينية الواقعة في الجليل الأعلى غادر صفد عام 1948 متجها إلى عزة إثر النكبة وأقام في عزة، ثم أنتقل للإقامة في الضفة الغربية ومنها تنقل إلى عدد من البلدان العربية منها قطر ودمشق، وهو من مؤسسي حركة فتح وعضو لجنتها المركزية، عضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأمين سرها، قبل أن يتم اختياره رئيسا لها بعد رحيل الرئيس عرفات، وقد حصل أبو مازن على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، وهو من مهندسي اتفاق أوسلو، ومن صناع القرار في المسيرة الفلسطينية، ومن مؤيدي الحوار مع القوى التقدمية الإسرائيلية، عاد إلى الوطن بتاريخ 11/9/1994 في أعقاب اتفاق أوسلو، ألف عددا من الكتب السياسية وخاصة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي، فماضي وحاضر "أبو مازن" يتكلم عن نفسه بنفسه، الله يعينه على الحمل الثقيل الذي سيضطلع به، إنه ينادي بالسلام، في مرحلة تعتبر إسرائيل بأن السلام يضر بها، قبل استكمال مشروعها الصهيوني، إنه ملتزم بالثوابت الفلسطينية، ولا استبعد اعتباره من قبل إسرائيل بأنه غير شريك في عملية السلام، كما سبق واعتبرت "أبو عمار" بذلك فمسار أبو مازن السياسي سيحرج إسرائيل، لكن السلام الشامل والعادل غير قائم على جدول الأعمال للحكومة

الإسرائيلية، فالصراع ما زال طويلا، وأنه في أحسن الأحوال من الممكن التوصل إلى تهدئة وإلى حلول جزئية لا أكثر، وذلك في ظل وضع عربي منهار، وحماية أميركية مطلقة لإسرائيل.

مسجد قايتباى... وحكايات آثار أقدام الرسول "صلى الله عليه وسلم"

وسيدنا إبراهيم "علية السلام" يتردد عليه الكثيرون للتبرك

محمد شعبان صحيفة القاهرة ـ 4/1/2005

في منطقة شعبية هادئة بقرافة المماليك بالقاهرة يوجد مسجد قايتباى الذي يحوى حجرين عليهما آثار أقدام يقال إنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا إبراهيم عليه السلام.. الأمر الذي دفع الكثيرين للترك بهما أملا في أن يجدوا مرادهم.

يقول على إسماعيل مدير إدارة شرق القاهرة للآثار الإسلامية: قايتباى هو أحد سلاطين دولة المماليك حيث جلبه الخواجة محمود تاجر المماليك وباعه للأشرف برسباي بخمسين ديناراً ثم اشتراه الملك الظاهر جقمق واعتقه فتقلب في عدة وظائف حتي صار ملكا سنة 872هـ ومكث في عرش مصر ثمانية وعشرين عاما إلى أن توفى سنة 901هـ.

ويشير إسماعيل إلى أن قايتباى يعتبر من أشهر ملوك دولة الجراكسة الذين عنوا بالعمارة الإسلامية حيث ينسب إليه كثير من الآثار التي ما تزال باقية حتي اليوم مثل مسجده بالقرافة وجامعه بقلعة الكبش ووكالة قايتباى بشارع الأزهر وجامع الروضة وغيرها.

ضريح قايتباى

وعن مسجد قايتباى بالقرافة يقول إسماعيل: إنه بنى سنة 877هـ وهو يتكون من صحن مربع الشكل تقريبا تحيط به أربعة أيوانات معقودة تحيط بعقودها كتابات قرآنية واسم المنشئ وتاريخ الإنشاء.

والمسجد ملحق به مجموعة من المباني تشمل مدرسة وضريحا وسبيل وكتابا وملحقات أخرى خاصة بإسكان المشرفين والقائمين على خدمة تلك المنشآت.

ويوضح إسماعيل انه بجوار الإيوان الشرقي يوجد ضريح قايتباى الذي يتكون من مربع تعلوه قبة مرتفعة جدا نقشت من الخارج بزخارف نباتية وهندسية محفورة في الحجر حفراً بارزاً وزخرفت من الداخل بزخارف زيتية ملونة ومذهبة وفتح في رقبة القبة مجموعة من النوافذ المملوءة بالزخارف الجصية المعشقة بالزجاج الملون وبجوار قبر تايتباى توجد قبة صغيرة من النحاس المذهب تحتها حجر أسود به أثر لقدمين يقال إنهما لقدمي الرسول عليه الصلاة والسلام.. كما توجد قبة أخرى على شكل مسلة بها حجر أسود عليه أثر قدم يقال إنه قدم الخليل إبراهيم عليه السلام.

الترك بالآثار

ويشير محمد الصريطي حارس المسجد إلى أن كثيرا من الناس يأتون للتبرك بآثار هذه الأقدام سواء من أهل المنطقة أو خارجها حيث يضعون أيديهم عليها ويقومون بالدعاء سرا.

ويقول محمد زكريا ـ بقال ـ منذ ولادتي بالمنطقة وأنا أسمع عن أن الآثار الموجودة بالمسجد هي لقدمي الرسول وسيدنا إبراهيم عليهما السلام وكنت أرى الكثيرين يأتون للترك بها من مختلف الفئات والطبقات بغرض الشفاء من مرض ما أو الزواج أو النجاح أو أي شيء آخر.. ورغم أنني لست متأكداً من أن هذه الآثار لأقدام الرسول وسيدنا إبراهيم عليهما السلام إلا أنني أحيانا أذهب إليها وأتبرك بها.

سند تاريخي

كانت د. سعاد ماهر أوردت في كتابها "مساجد مصر واولياؤها الصالحون" أن الإمام السيوطي سئل عن هذه الأحجار التي تحتوي آثار الأقدام فأجاب بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند من كتب الحديث... وقد أنكره كثير من العلماء واثبته بعضهم.

وقد جاء في كتب "الآثار النبوية" لأحمد تيمور أنه إذا صح شراء السلطان قايتباى لهذين الحجرين أو أحدهما فلا يستبعد أن يكونا من الأحجار التي قيل إنها أحضرت من أرض خيبر بالمدينة المنورة ليجعلها في بناء مدرسته التي شرع في بنائها بشاطئ بولاق.. لذا يحتمل أن السلطان اختار منها هذين الحجرين ونقلهما إلى قبته.

ويقول د. أحمد الزيات أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة طنطا: هناك رأيان في هذا الجانب.. الأول يرى أن الآثار الموجودة بمسجد قايتباى وغيرها من المساجد الأخرى هي فعلاً لقدمي الرسول منطلقا من أن الرسول كانت له كرامات من بينها أن قدميه كانت تطبع على الأحجار التي يمر عليها... أما الرأي الثاني فيرى أن هذه الآثار ليست لقدمي الرسول وذلك لعدة اعتبارات أهمها اختلاف المادة الخام الموجود عليها آثار الأقدام في كل مكان موجودة به هذه الأحجار عن الأمكنة الأخرى سواء في مسجد قايتباى أو مسجد أثر النبي أو مسجد المرسي أبو العباس أو السيد البدوي فقد تكون مادة الحجر من الحجر الرملي أو الحجر الجيري أو البازلت... هذا بالإضافة إلى اختلاف حجم القدم في كل مسجد عن باقي المساجد الأخرى.

ويميل د. أحمد إلى الرأي الثاني حيث يرى أنه الأقرب إلى العقل والمنطق خاصة في ظل عدم وجود سند تاريخي يؤكد أنها آثار أقدام الرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويضيف د. أحمد: إن هذه الأحجار جاءت إلى مصر من خلال بني إبراهيم الذين ارسلوا في العصر الأيوبي إلى ينبع لإحضار مخلفات الرسول... مشيراً إلى أن المخلفات الحقيقية كانت عبارة عن شعيرات من رأس وذقن الرسول الشريفة وعصاه وقميصه المصنوع من نسيج القباطي كانت أهدته له السيدة ماريا القبطية إضافة إلى المرود والمكحلة... وقد وضعت هذه المخلفات في منطقة الرباط ونقلت بعد ذلك إلى كثر من

مكان إلى أن استقرت بجوار المشهد الحسيني... ولم يأت أي سند تاريخي يثبت أن الأحجار الموجودة بمسجد قايتباى وكانت من بين المخلفات ولو كانت هذه الآثار هي فعلاً لقدمي الرسول وسيدنا إبراهيم لحفظت مع المخلفات النبوية في مكانها الحالي.

آثم ومقصر

وعن الوجهة الدينية في هذه القضية يقول د. محمود يوسف كريت رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر... الإسلام يرفض التبرك بمثل هذه الأحجار لأمور عديدة منها أنه لا يوجد دليل على أنه الآثار الموجودة عليها هي لقدمي الرسول أو سيدنا إبراهيم عليهما السلام... كما أن العبادة وحدها والاجتهاد في طاعة الله هي العامل الأساسي الذي يقرب الإنسان من ربه وليس مثل هذه الأفعال، وقد أشار النبي إلى ذلك حين قال لابنته فاطمة "يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا" لذا فإن من يفعل ذلك فهو آثم ومقصر في حق ربه ودينه، فالمسلم يجب عليه أن يعبد الله لوجهه الكريم وأن يتقرب إليه بالعمل الصالح وقد قال تعالى "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص".